مُحمّد سَعيد الرّيْحَاني

الحَاءَاتُ الثّلاثُ

مُخْتَارَاتٌ مِنَ القِصّةِ المغْرِبيّةِ الجَدِيدَةِ



الحَاءُ الثّانِيَةُ:

أنْطُولُوجْيَا الحُبِّ

“The Three Keys”

(An anthology of Moroccan Contemporary Short Story, Vol. 2: Love)

By

Mohamed Saïd Raïhani

(Arabic Version)

2007

عـنوان الكتاب : **"الحاءات الثلاث"**
نوع الكتاب : أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة، الجزء الثاني - **حاء الحب**
الكاتـب : محمد سعيد الريحاني
الطبعة: الأولى، 2007
الناشر: محمد سعيد الريحاني
رقم الإيداع: 2007/2464
الترقيم الدولي (ISBN): 978–9954–8654–2–X
المطبعة: طوب بريس، الرباط / المغرب

الباب الأول:

العتبات

قوة الحب في القصة المغربية الجديدة

قراءة عاشقة لنصوص "أنطولوجيا الحب"

بقلم محمد سعيد الريحاني

I- تمهيد:

"**الحاءات الثلاث**" مشروع إبداعي وتنظيري يهدف إلى التعريف بالقصة المغربية القصيرة عبر ترجمتها للغة الإنجليزية ثم نشرها ورقيا باللغتين العربية والإنجليزية، كما يتقصد التأسيس لمدرسة مغربية قادمة للقصة القصيرة من خلال المشترك المضاميني والجمالي المُجَمَّعِ بين النصوص الخمسين للكاتبات والكتاب الخمسين المشاركين في المشروع الأنطولوجي والموزعين على ثلاثة أجزاء:"**أنطولوجيا الحلم المغربي**" و"**أنطولوجيا الحب**" و"**أنطولوجيا الحرية** ".

ومواكبةً لنصوص الكتاب المحتفل بهم، أسَّسْنَا وواظبنا على تقليد أدبي انطلق مع الجزء الأول "**أنطولوجيا الحلم المغربي**" وذلك بإعداد قراءة " **عاشقة**" للنصوص المشاركة توضح المنظور الذي على ضوئه ستترجم النصوص كما تعمل على تقريب النص للقارئ من خلال تسليط الضوء على المشترك الجمالي والمضامين الذي يبحث بين شتات النصوص الخمسين عن الخيط الرفيع القادر على المساهمة في تصميم النموذج القصصي للكتابة الغدوية ولكتاب الغد.

ولأن هدف المشروع الأنطولوجي الحالي هو التأسيس لقصة قصيرة مغايرة، فقد كان من باب الانسجام مع الخطاب أن تكون القراءة الموازية له قراءة "**عاشقة**" وليس قراءة "**نقدية**" نظرا لارتباط الأولى، القراءة "**العاشقة**"، بالانتماء للنص بينما تلتزم الثانية، القراءة " **النقدية**"، المسافة اتجاه النص. ولذلك تبقى القراءة "**العاشقة**" رفيقة مراحل التأسيس عبر كل عصور التاريخ التنظيري والإبداعي بينما تأتي القراءة "**النقدية**" بعد توفر التراكم وتنامي الإرث وذلك لتشذيب الخطاب وتقوية خط الإنتاج الإبداعي وعقلنته.

II – <u>الحب في أنطولوجيا العاشقين المغاربة:</u>

تتوزع نصوص "**أنطولوجيا الحب**" بين ستة محاور **يتدرج** فيها **مفهوم الحب** "**تنازليا**" من:

أ * **الحُبُّ أسطورة جميلة.**
ب* **الحُبُّ رؤية للوجود.**
ج* **الحُبُّ ذاكرةً سعيدة.**
د* **الحُبُّ مُخَلِّصاً من ورطة الحاضر.**
ه* الحُبُّ مُتَخَلّى عنه.
و * **الحُبُّ مَيّتاً.**

وتبعا لذلك تتدرج نصوص الأنطولوجيا من نصوص **الحب الأسطوري** المنتصر لقيم الحب النبيل في نص "**كيوبيد والشيطان**" لمحمد فري و نص "**تانيت**" لفتيحة أعرور و نص "**عاشق أخرس**" للحبيب الدايم ربي؛ إلى نصوص **الحب الصوفي** القائم على التوحد بالإرادة والحبيبة والكون كما في نص "**حب**" لأحمد الفطناسي و نص "**عاشق**" لمحمد سعيد الريحاني و نص "**لازمة المحنة**" لمحمد اشويكة **و**نص "**من السماء إلى الأرض**" للتيجاني

بولعوالي؛ إلى نصوص **النوستالجيا والحنين لماضي الحب السعيد** كما في نص **"أحلام طاميزودا"** لإدريس الصغير ونص **"إيقاع الدائرة"** إسماعيل غزالي ونص **"قبلات"** لمحمد نبيل؛ إلى نصوص **السعي للخلاص بالحب من ورطات الحاضر** كما في نص **"حبيبة الشات"** لعبد الحميد الغرباوي **و** نص **"قصة حب"** لسعاد الناصر(أم سلمى) ونص **"هاجس الحب"** لمحمد التطواني؛ إلى نصوص **لا جدوى الحب في المحيطات غير السليمة** كما في نص **"عاشق من زمن الحب"** لهشام بن الشاوي **و**نص **"حب على الشاطئ "** لهشام حراك ونص **"ومضة"** لزهور كرام؛ وتختم الأنطولوجيا العاشقة جولتها بنصوص **التيه العاطفي والمأزق الوجودي وموت الحب** كما في نص **"حالة شرود"** لرشيدة عدناوي، نص **"الوشم"** لنهاد بنعكيدة، ونص **"هي والسكين"** لسعيدة فرحات، و نص **"بلا عنوان"** لأسماء حرمة الله **ثم** نص **"ولادة"** لوفاء الحمري.

III- قراءة لنصوص "أنطولوجيا الحب":

1. محمد فري، "كيوبيد والشيطان":

هذا النص هو أحد أقصر النصوص المشاركة في " **أنطولوجيا الحب**"، الجزء الثاني من "**الحاءات الثلاث**" مختارات من القصة المغربية الجديدة، لكنه استطاع بمهارة التركيز والتكثيف الإمساك بأهم قوى الحياة والفعل في الوجود برمته: **الخير والشر.** ولأن هاتين القوتين متضاربتان ومتصادمتان فقد صار النص ذاته ساحة معركة بالسهام بين **كيوبيد**، ملاك الحب، **والشيطان**، سَيِّد الفتن:

« - " أنت أيها الطفل الغرير..خسئت إن ظننت أن سهامك تفتح القلوب إلى المحبة..."

لم يعره "كيوبيد" اهتماما..اغتاظ الشيطان من لامبالاة الملاك... وسدد رمحه نحوه يريد به " شرا".

ارتفع الملاك قليلا إلى الأعلى فمر الرمح من أسفل دون أن يمسه... وبهدوء أمسك بقوسه وزرع فيها سهما سدده نحو صدر الشيطان...»

ولأن الإبداع لا يكون إبداعا إلا بانتصاره للقيم الإنسانية العليا، ينتصر النص للخير وللحب ولكيوبيد على حساب الشر والفتن:

« ارتفع الملاك قليلا إلى الأعلى فمر الرمح من أسفل دون أن يمسه... وبهدوء أمسك بقوسه وزرع فيها سهما سدده نحو صدر الشيطان... قهقه هذا الأخير وهو يبصر السهم متوجها إليه... تلقاه بصدره هازئا واثقا من خلوده... مثل اللمحة اخترق السهم صدره وأصاب قلبه... فجأة شعر الشيطان بخفقان لم يعهده من قبل..وأحس أن ذخيرة الشر تتناقص بداخله..وبحركة لاواعية تحسس قرنيه فلم يجد لهما أثرا... ثم التفت خلفه فشعر بجناحين أبيضين ينبتان بظهره.»

2. فتيحة أعرور، "تانيت":

نص "**تانيت**" يدور حول عجوز،"**توذا**"، أكلتها العزلة والغربة بعد رحيل الحبيب لتواظب على زيارة قبره طلبا للمؤانسة فيتَحَقَّقُ لها حلم الأحلام: العودة للصبا وانبعاث الحبيب وتحقق المنى...

يبدأ النص بتصوير معاناة "**توذا**" من الغربة "**بين البشر**":

"جالت بعينيها في أرجاء القرية، بصرها ما عاد يسعفها في تبين ملامح العابرين، حتى أحفادها لم تعد تميز بينهم، نهضت بخطى متثاقلة نحو الربوة، يد خلف ظهرها والأخرى تمسك بعكازها أو "رجلها الثالثة"، تسميه كذلك نكاية بنفسها تارة وسخرية من القدر أخرى!.

ينتابها إحساس بالانتماء إلى عالم لا تربطها به أي صلة.

- تباً.. كل شيء تغير!.

تجد متعة لا توصف لما تقصد "قِبلة الحب"، هكذا يحلو لحفيداتها وصف المقبرة مازحات..

- جدتي ذاهبة إلى "قبلة الحب"!.

- تعتقدين أنها ماتزال تحب جدي فعلاً؟.

وكيف تفسرين ارتباطها بذلك العالم أكثر من اهتمامها بأمرنا؟!"

ولأن الغربة بين البشر تقتضي البحث عن موطئ قدم في عوالم أخرى، فقد اختارت الشخوص الالتحاق بالآلهة. وقد بدأت أول خطوة في هذا الاتجاه مع مغازلة"**إيدَّر**" الفتى العاشق ل"**توذا**" بحكاية القصة التي كانت وراء زواج **كبير الآلهة** (=الذي يتماهى"**إيدَّر**" معه) و"**تانيت**" ربة الخصب (=التي يريد "**توذا**" أن تكونها)، مستثمرا لحظة سقوط الدلو من يدها، يد "**توذا**"، ليقارن الحادث ذاته بالفأل الحسن الذي جمع بين "**تانيت**" **وكبير الآلهة**:

"ارتبكت فسقط الدلو من يديها.
- فأل حسن!.
- لِـمَ؟!.
- لقد اندلق الماء من يديك في حضرة رجل..
ابتسمت ثم سألته:
- ماذا يعني ذلك؟
- اسألي نساء القرية عن حكاية المطر والإلهة "تـانيتْ"!.
لا أعرف عنها شيئاً..
- "تـانيت" هي إلهة الخصب في معتقدات أجدادنا، تحكي الأسطورة أنها كانت تعشق ابن كبير إحدى القبائل حد الجنون، غير أن كبير الآلهة مذ رآها في أصيل ذات يوم تسبح عارية في البحيرة، هام حباً بها فطلب يدها للزواج، ولما أعرضت عنه، منع نزول المطر انتقاماً.
قصد سكان القرية "تـانيت" يتوسلونها لتقبل به زوجاً حتى يزول غضبه، وكان أن ضحت بحبها ووافقت على الزواج، سقطت الأمطار في تلك السنة غزيرة على نحو غير مسبوق، ومنذ ذاك الحين أصبح اندلاق آنية الماء من أيدي العذارى رمزاً للحب ووعداً بالزواج."

قصة حب "**توذا**" و"**إيدَّر**"، إذن، تروى على خلفية قصة الحب لدى **الآلهة**، ما بين "**تانيت**" **وكبير الآلهة**. وعلى هذا الأساس قدم الفتى العاشق "**إيدَّر**" لأصدقائه على أنها ربة الخصب، "**تانيت**":
"قال محدثاً أحد رفاقه:
- "تُـودا" * تشبه عروس المطر، ليتك تراها يا رفيقي! "

وعلى هذا الأساس أيضا، كانت "**توذا**" ترى في"**إيدَّر**" صورة **كبير الآلهة** المعصوم من الموت ما دامت الآلهة لا تموت كما ألمحت إلى ذلك في ختام النص:
"فجأة أحست "تودا" وكـأن صباها عاد إليها، أزاحت عكازها جانبـاً، رأت نفسها تمشي قبلة الجبل حيث ترجل فارس عن صهوة جواده، لما اقترب منها أشاح بطرف برنسه الأبيض على كتفه اليمنى، أمسك بيديها.. اختلط حزنها بالفرح.. رمت بنفسها في حضنه وانفجرت باكية:
- قلت للجميع أن "إيدر" لم يمت ولا أحد منهم صدقني!"

الحكاية "**ذات مسحة إلهية**" ولا تحكى للبشر الذين تشعر بالغربة معهم "**توذا**"، الساردة التي تتصرف كصورة مكسورة ل"**تانيت**". فالقصة تحكى بطريقتين في منأى عن البشر: الطريقة الأولى، بالتذكر واسترجاع الإحداث والذكريات مع "**إيدَّر**"؛ و الطريقة الثانية، بالشكوى ل "**إيدَّر**" وتذكيره بالماضي السعيدة والبدايات الجميلة.
إن ما تنشده "**توذا**" في أعماقها هو الالتحاق بالآلهة والتعالي عن البشر والزمان والمكان وعن الموت والشوق والغياب. وقد تحقق لها طلبها في نهاية النص، فقد صارت "**ربة للخصب**". ولأنها ارتقت إلى مكانة الآلهة، فقد عاد لها حبيبها، "**كبير الآلهة**".
التشبيه بين قصة حب البشر على الأرض وبين قصة الحب لدى الآلهة في الأساطير الأمازيغية أعطى للنص بعدا رمزيا عميقا بحيث صارت الشخوص والأحداث تطالها مسحة إلهية وأسطورية فصارت الشخصيتان المركزيتان في النص تتصفان بصفات إلهية وأهمها: **الحياة الأبدية** (المناعة ضد الموت) **والشباب الدائم** (الحصانة ضد الشيخوخة). ف"**إيدَّر**" ، الشاب المقاوم البطل الذي قتله المعمر، ينبعث من جديد عند ختام النص وهو في عز شبابه؛ و "**توذا**"، العجوز المهمومة، تُرْجِعُ حلقة الزمن سنين إلى الوراء وتعود إلى صباها وقوة عشقها وأزهى لحظات عمرها.

3. محمد اشويكة، " لازمة المحنة":

نص "**لازمة المحنة**"، في "**محنته**" سعيا للإمساك بحقيقة الحب، يجد نفسه في انزياحات مستمرة: ثارة عن التجنيس الأدبي وثارة أخرى عن مفاهيم الحب لدى العامة وذلك بتجريب محاولات إقلاع نحو الحقيقة أسماها "**أبجديات**" ما دامت غير مكتملة المفهوم:
" هل توصلتِ معي إلى تعريف الحب؟ أم أن المُعَرَّف لا يُعَرَّف؟

الحب لذة...
الحب مثالية...
الحب عواطف روحية...
الحب حكمة...
الحب امتداد نحو التجسيد... نحو الجسد...
الحب تحيين لماضي الذوات البشرية...
الحب ارتقاء نحو عوالم خالدة أزلية... نحو جمال الأفعال الجميلة... صعود نحو الأرواح الجميلة... تذوق لكل الأجساد الجميلة... انزياح نحو المطلق الخالد... نحو الامتلاء والتمام والكمال... تصوف دون تقشف... شبع دون جوع... ارتواء دون عطش..."

إذا كان النص الإبداعي هو محاولة لإيقاف الزمن والإمساك باللحظات الهاربة، فإن نص "**الازمة المحنة**" لمحمد اشويكة لا يكترث لإيقاف الزمن بقدر ما يهتم بالحفاظ على إيقاعه وتخليد لحظات الحب الحاضر السعيد والإبحار بالحب في الزمن نحو اللانهاية.

مستعينا بالاستعارات، يقلع نص "**الازمة المحنة**" نحو آفاق أخرى لأشكال أخرى أرقى من الرعشة الجسدية والحب الجسدي فتتحرر مفاهيم الحب تحت فعل الأسئلة الحرة لتنتج مفاهيم صوفية للحب :

"ماذا عسانا فاعلون أمام قسوة العشق هاته؟ نتآلف ونتخالف، نتحالف ضد الذوات الشريرة، نتآسر ونتجاسر، نكسر الطعنة الطائشة... عظمي عظمك، قلبي قلبك... لنضخ دما واحدا... ونفكر بطرق متعددة عنيدة... هذا الثالث منا: ما أروعه! "

إذا كان النص القصصي في التصور الأدبي الشائع يرتكز على تطور الأحداث، فإن نص "**الازمة المحنة**" يرتكز أساسا على ارتجال خواطر في الحب والهيام وتطويرها لتصبح تصورات ومفاهيم متقدمة في العشق والغرام. هذه الخواطر والتصورات النامية عبر متواليات النص تصبح في النهاية هي شخوص النص المحورية وأحداثه في آن مستفيدة من التبويب والتصنيف العالي الدُّقة الذي ضَمَنَ رُقِيَّ المفاهيم المُقَدَّمَة عن الحب نحو **الخلاص**، نحو **المطلق**:

"الحب ارتقاء نحو عوالم خالدة أزلية... نحو جمال الأفعال الجميلة... صعود نحو الأرواح الجميلة... تذوق لكل الأجساد الجميلة... انزياح نحو المطلق الخالد... نحو الامتلاء والتمام والكمال... تصوف دون تقشف... شبع دون جوع... ارتواء دون عطش..."

4. محمد سعيد الريحاني، "عاشق":

النص لوحة سردية بتقنية "**المشهد**". إنه لحظة استمتاع حالمة وخواطر جميلة ورؤى بديعة. ولأن السارد "**عاشق**" من البداية حتى النهاية، فلم يكن في وسع النص أن يعرف هزات سردية كتلك التي تكون وراءها "**العقدة**" في السرد التقليدي كما لا يمكنه أن يقول سوى الحكمة ولا يرى إلا الحقيقة ولا يعيش إلا العشق. ولذلك كان المعجم المُشَغَّلُ فنيا في هذا النص هو **معجم حسي**:

« يدك باردة ! »
« نبض جذع الشجرة في ضلوعي يذكرني بالحكمة»
« نبض الشجرة يسري في جذعي يدفق قوي جديدة في شراييني، يقويني، يكبرني.»...

العشق هو بداية الشعور بتجربة الحب ولكنه أيضا بداية الشعور بحقيقة جديدة. وهذه الحقيقة الجديدة التي أمسك بها النص قبل نهايته هي أن "**الحب هو لغة الكون وأعظم قوانينه، إنه ضامن التناسق والحياة والإشعاع والطاقة**":

« الليل يلعق اختلاط الألوان في الأفق حيث بدأت النجوم سباقها بحثا عن موقع على رقعة السماء. النجوم تتغامر من على بعد سحيق. النجوم ليست كما كانت تبدو لي دائما: مجرد جمرات كبيرة تحوم في سواد الكون. للنجوم هذه الليلة، حياة أخرى خفية تنبض عشقا وغراما، فالنجوم الأكثر لمعانا كتلك النجمة الوحيدة هناك هي في الغالب نجمتان كما يقول علم الفلك الحديث: نجم برتقالي ونجمة زرقاء. نجمان يرتبطان بجاذبية خفية تشد هذا لتلك فيدوران حول بعضهما البعض في غزل صامت، مضيء... ربما النجوم لا تضيء إلا لكونها تعيش حبا. وربما لولا الحب لانطفأت جذوتها وتناثرت في الفراغ كباقي النجوم المحرومة، نيازكا وشهبا...

أنا الآن أستمتع بوميض النجوم وعشقها، عشق عمره الآن آلاف السنين بين نجوم على بعد آلاف السنين الضوئية ... تلألؤ النجوم يزين السماء ويضفي على ميكانيكية حركة الأجرام السماوية بعدا غراميا. »

5. التيجاني بولعوالي،" من السماء إلى الأرض"

يتكون عنوان نص "**من السماء إلى الارض**" من كلمتين: "**السماء**" (=المثال) و"**الأرض**" (=الواقع) لكن العنوان يركز تركيزا خاصا على الاتجاه "**مِنَ**" الأعلى "**إلى**" الأسفل. إنها رحلة من **الأعالي**، من الذاكرة السعيدة، إلى واقع الانضباط اليومي المكرور. الذكرى الهاربة التي تؤججها "**لُونْجَا**" الحبيبة التي تجعل من السفر في الحافلة سفرا في **الأعالي**، في "**السماء**"؛ ومن حب الأنثى حبا للكون وللطبيعة؛ ومن تأمل الحب والطبيعة والكون تأملا للذات وتحريرا لها:

" تهاتفني من خلف القناع ولا أراها. تتجول رفقة الدجى. تسامر جنوني حين أتطرف. أتقلد خطى أفلاطون في سموه وتقول فيحسبها الجالس جنبي موجا ليليا...

بين تضاريس الوجود أدرك هويتها وفي تجاويف السماء ألمح قدها الفاتن فتسحرني وتخلبني نكهته فأترنح وأذوب على زجاج النافذة الذي هو متكأ رأسي منذ حين لأراها تتراقص في بؤبؤي عيني وفوق أنوار "تفرسيت" المتموجة...

-فيم تتأمل؟

-في ذاتي. في هذا الخلق المنظوم."

6. أحمد الفطناسي، "حب"

نص "**حب**" يتمحور حول البحث عن "**ثمار الحب**"، عن الذرية والأولاد قصد الاستمرارية. ولذلك، تلجا المرأة المحرومة من الخصوبة، على طريقة الدودة التي تعتكف في محرابها ليال لتحقيق حلمها في أن تصبح "**فراشة**"، إلى خلوة الولي الصالح والتوحد بالشجرة المباركة وهي كلها إصرار على التخلص من "**التابعة**" و"**سوء الحظ**" الذي لازمها دون سائر النساء:

" خطت المرأة بخطوات متثاقلة اتجاه شجرة التين المباركة، والمحاذية لخلوة الولي الصالح المقيم بقبة رأس الجبل ، وقبل أن يتبين الخيط الأسود من الخيط الأبيض قامت بتطهير جسدها بالماء"

" الشجرة السامقة بفروعها قرب البيت مزينة ب.." التابعة " حيث الأحزمة والملابس الداخلية لنسوة رقص الحظ و"الزهر" بعيدا عنهن ، ولم يسعدن بذرية تنسيهن ملاذ الوحدة، وتبقي على فرع سامق كفرع الشجرة المباركة ..."

" أعادت قراءة التعاويذ ذاتها في حين أمسكت بيدها فرعا من فروع الشجرة المباركة ..كانت تسر لها بمآل الروح المتمردة داخلها في حين تطلي الوريقات الجافة حوضها تعبيرا على اكتمال لا ينتهي ،.. لكنها أصرت على إتمام لحظة السكينة للنهاية ، خصوصا أن دفء المكان حول جسدها لكوة نار متقدة ..

أعادت تلمس خديها مرددة نفس التعاويذ والتي تحفظها عن ظهر قلب ..مدت يدها لأقرب غصن ممتد، شدت بقوة متحملة آلام شوك وريقات الشجرة المباركة، تملكتها رعشات اللذة حتى أمست تقلب حاجبيها، وعندما حلت سكرات الحب الجارف، حلت قشعريرة الجسد مكان الألم، حينها أحست بسائل ساخن يسيل بين فخديها ..كانت لحظتها تسمع نفس النداء للمرة الأخيرة : «متعة السريرة في توحد الروح بالشجرة المباركة»" .

7. الحبيب الدايم ربي ،"عاشق أخرس":

يفتتح النص بطلب شرح لغوي لمفردة " **خرساء** ". لكن السائل العادي الساعي للمعرفة سيصبح "**رجلا ثقيل الظل** " نظرا **لثقل** الذكريات التي أيقظتها الكلمة في وجدانه وأعادته لتجربة عشق أخرس كان هو بطلها ولقصيدة كان، هو أيضا، شاعرها:

« رجل ثقيل يسأله من غير مناسبة عن معنى كلمة "خرساء" التي ابتدأ بها شاعر مجهول قصيدته(...) فرد في حرج: خرساء من لا ترد، أو بالأحرى من تتعمد عدم الكلام».

نص "**عاشق أخرس**" هو نص حول الحب من جانب واحد. فحين يكون أحد الطرفين أخرسا أو أصما، لا يتبقى للحبيب سوى ثقافة العين والتلصص على الحبيبة بين أعواد حقول القصب:

« في صمت كان يتلظى بحبها . يترصدها من بعيد كي يتأمل الجرة تلامس شعرها الجموح كلما قصدت عين الماء للسقيا . العشق مذلة . وهو حين يأتي من أخرس يغدو فعلا أقرب إلى الشناعة. كان قد أوغل في التيه. عيناه بوابتان لقصيدة مخلعة الأوزان صماء ، والجمال المترجل أمامه ، متثنيا ، سبحان الخالق الناطق . كأنما كانت صاحبته على غيمة تخطو ، خفيفة ، رشيقة ، صموتة. تعبر التلة في ذهاب وإياب. لم يعد قلبه يطاوعه ليبقى نائيا ، يتأمل "خرساءه" من خلل سد القصب . ما صار السر واحدا وإنما غدا اثنين وثالثهما عاذل قد يقتحم المشهد مدعيا الاستفسار عما قاله شاعر مزعوم في الحبيبة. والحبيبة ، مهما صدّت ، هاهي تقترب ، لم تعد بدورها قادرة على الصمود أكثر.

ولأنها كانت مثله خرساء فقد ناولته جعبة قصب كي يسكب فيها هواه . ففعل . انذرفت دموعه فوق القصبة فخرمتها سبع خرمات . وعلى مدى أيام الأسبوع ، ومنذ كان الماء والقصب ، راحت النايات، كلما هبت الريح ، تشدو بأنغام شجية يزعم العواذل أنها لعاشق أخرس يلوذ بحقول القصب! »

شعرية هذا النص تكمن في **انسجامه الداخلي وتوحد شكله بمضمونه**. هذا "**التوحد**" الذي يبدأ مع بداية النص **المثقل** بعبارات **"الثقل": "رجل ثقيل الظل"، "آخر ثقيل السمع"، "رجل ثقيل"...**
هذا "**الثقل التقديمي**" أثر ماديا وفنيا على النص الذي **بدأ "موضوعيا" بضمير الغائب** ثم **غاص تحت "تأثير الثقل" في الذاتية وضمير المتكلم والفلاش باك** ثم **غرق في الختام في الأسطورة** حيث صارت قصة العاشق الأخرس جزء لا يتجزأ من أساطير العشق ووجدان العشاق.

8. سعاد الناصر، "قصة حب":

نص "**قصة حب**" لسعاد الناصر يبدأ بمقابلة صحفية مع مساجين الرأي وينتهي بقصة حب وزواج:
"التقيته في السجن حين كنت أجري مقابلة صحفية مع مساجين الرأي، لفت نظري بهدوئه وابتسامته التي تضيء وجهه كله, وحين أبديت استعدادي لتوفير بعض الطلبات لهم في زيارة قادمة، لم يطلب سوى مجموعة من الكتب, اكتشفت بعد ذلك أنه مثلي يقرأ بنهم كبير, يحاول بفعل "اقرأ" إعادة تشكيل واقع انحرف عن مساره. وسقط في مستنقعات التخلف والتهميش, ومنذ ذلك اللقاء عرفت أن القدر مهد لاجتماعنا بعناية فائقة".
النص يُحْكَى على لسان ساردة أنثى أريد لها أن تكون "**رسول المحبة**" لكنها، **عكس كل نظرائها من الرسل والمرسلين**، تحولت من "**رسول محبة**" إلى "**موضوع حب وزواج**"، زواج حبيبين كل منهما خارج من سجنه: هي خارجة من تجربة زواج فاشلة ("**عبودية الأنثى**") وهو خارج لتوه من السجن (استعباد ذوي الرأي الحر). الصورة إذن هي صورة "**زواج الأحرار**"، زواج الأنثى المُحَرَّرَةِ من صاحب الرأي الحر.
وقد "**سبق**" قرارُ إعلان الحب قرارَ العفو الرسمي عن المساجين. وهذه هي رسالة النص: "**لو تسلح الناس بالحب، ما كان هناك أَسْرُ أو سجون أو سجانين**".
تقنيات الحكي تستمد ديناميتها من مهارة استعمال "**ثنائية**" **عنف الماضي** و**نعيم الحاضر**:
- **متوالية تذكر البدايات.**
- الفرح بنعيم الحاضر.
- **متوالية اللقاء والتعارف.**
- الفرح بنعيم الحاضر.
- **متوالية الذاكرة وعنف الماضي.**
- الفرح بنعيم الحاضر.
- **متوالية الإفراج عن السجناء وإعلان الحب والزواج.**
- الفرح بنعيم الحاضر: " **ومثل زهرة في مهب الريح ارتعشت أغصاني وغاصت في كونه الناري. وغدوت سوسنة تسكن ومضات طيف مشرق، ترشف بين الومضة والومضة زلال فيض ملائكي الإيقاع...**"

ثنائية **عنف الماضي** و**نعيم الحاضر** هذه "**جسدت شكليا مضمون النص العاشق**" كما جعلت من شكل العرض القصصي شكلا لعرض "**طانغو/Tango**" راقص حيث **إذا غاب أَحَدُ الثنائي الراقص أو انسحب، بَطُلَ الرَّقْصُ** وجُمِعَتِ الآلاتُ وانْسَحَبَ العازفون.

9. إدريس الصغير، " أحلام طاميزودا":

أجمل ما في **البداية**، أي بداية، هو ذاك الحلم الجميل بالغد الجميل الذي تبشر به وتصنع مساره. وفي المقابل، أهم ما في **النهاية**، أي نهاية، هو تلك اليقظة المفاجئة من غفوة طويلة أو نسيان ثقيل، يقظة تحرك مجاري الذاكرة وتصالح الفرد مع ذاته وذاكرته وحقيقته. ولعل موت الأحبة هو أقصى أشكال **"اليقظة المفاجئة"** ونص **"أحلام طاميزودا"** يرسم بفنية عالية هذه اليقظة.

يبدأ النص كأغلب النصوص القصصية بالسرد بضمير الغائب المتجرد الموضوعي العارف بدواخل وأسرار الشخوص الأصم اتجاه المعاناة الفردية... لكن ما أن تحمل الحبيبة على المحمل وتأخذ وجهتها نحو المقبرة حتى يلقي السارد على الأرض بكل الأقنعة والأدوار السردية ويتحرر من كل تجرده وموضوعيته ليعلن "**بضمير المتكلم**" أنه **هو الحبيب** وأن **الراحلة هي الحبيبة** وأن **النص ما هو إلا ذكرى قصة حب كانت لاهبة:**

« كانت اللقاءات هنالك، في خلوة عن العالم، عن كل العالم. بعيدا عن الحروب، وعن الدمار وعن الدسائس وعن كل المخلوقات. ترى لماذا اخترنا بالضبط ذلك المكان؟ الم يكن الرومان يشقون عباب نهر سبو بسفنهم المحملة بالمؤونة ليرسوا بها في طاميزودا؟ الم يحبوا هنا؟ ألم يحترقوا بلظى الأشواق، و طول النأي، و المعاناة المؤلمة لهذا الحب الأزلي؟

أين أنت الآن ؟ الآن أرى جسدك مسجى على المحمل ، مغسولا ، بعطر الجنان . أراك محمولة فوق الأكتاف ، ليشق مسمعي ، العويل ، و الصرخات الرعناء . اليوم لا أملك سوى الذكرى ، اليوم أعود عند الغروب منكسرا ، أيمم نحو مدينة كئيبة تغفو مجهدة، لتنكمش على أحزانها الدائمة»

10. إسماعيل غزالي ،"إيقاع الدائرة":

على طريقة "**الثقوب السوداء**" في الكون الخارجي، يشتغل نص "**إيقاع الدائرة**" لإسماعيل غزالي. في هذا النص، تتخذ الدائرة "**قوة جاذبة عظيمة**" لكنها جاذبية سردية فنية تسمح بالغوص في الماضي ومعانقة الذكريات والمصالحة مع الأعماق. وتبقى "**الدائرة**" تقنية فعالة في حصر الانتباه وتقوية التركيز على دائريتها قبل استدراج القارئ إلى مجاهل بئرها الداخلي، **بئر الدائرة العميق**، والغوص في أعماقه:

" إنهم ينقرون على البنادير .إنهم يوقظون الرعشة في صقيع الجبل. هاهو صدى الهجرات يزلزل صدر الليل. من قال أن الأطلس مبغى. تسلل إلي صدح الأحيدوس فطوحت بي رياح الشجن. ليتني أبكي أو أصرخ حتى الجنون. ذلك هو نداء التين الأسود في عرائش الكروم المنسية. يسبقني دمي إلى البيادر. يضيء زهر الدفلى ذلك الغضب الملتبس. المح الأثداء المهجورة تتنافر في سماء الإنشاد. خيط الأجساد المتراقصة يتحول إلى دائرة."

يدور النص حول تجربة حب طفولية موؤودة مستفيدا من تشغيل رمز "**أنثوي**" ناجع: "**الدائرة**" وهي "**تمتص**" العاشق السارد في بداية النص للعودة به زمنيا إلى الوراء ثم"**تطرحه**" عند نهاية النص إلى الحاضر مثخما بجراح الذاكرة الدامية:

" ها أنذا أطرز نسغ الذكرى في وشم تلك المرآة الراقصة. اصطدم بما كشفته ردهات العشق المأساوي عن الذي تحقق والذي ضاع وانفلت. عن الذي أبهج المخيلة وأيقظ الماء العميق في بئر الكلمة. وعن الذي هدم الحلم والمعنى والإنسان."

11. محمد نبيل، "قبلات":

"**قُبُلات**"، بصيغة الجمع، هو عنوان نص محمد نبيل. ولعل اختيار "**قُبُلات**" عنوانا للنص عوض "**قُبُلة**" أو"**تقْبيل**" يستمد مقوماته من مراحل التقبيل التي شكلت في النهاية مراحل النمو العاطفي للطفل السارد. فمن صدمة البداية والإحساس بالاختناق تحت عنف التقبيل:

"كانت عائشة لا تتركني أتنفس, تخنقني, ترافقني كل يوم إلى المدرسة, وعند عودتي، تنتظر الوقت الذي أتخلص فيه من يدي أبي الغليظتين لتنقض علي كما يفعل الكلاب. تقبلني بحرارة, تمتص شفتيّ وتشد فمي كما تشد كيسا من الحليب".

إلى التواطؤ ومبادلة القبلة بالسكوت والرضا:

"تعرف جيدا أنني لا أستطيع أن أرفض عروضها الشاذة لأنها تغريني بالكتب الصفراء والأوراق البالية التي تسرقها من حانوت أبيها".

إلى القبول ب"**العبودية الجميلة**":

"كانت ملحة على أن أعوضها عن قبلات اليوم الضائعة وكأنها تطلب أجرا عن عمل قامت به من أجلي. وضعت يدي على ظهرها الأملس وقلت لها في هدوء طفولي : غدا سيطلع نهارك وسأتركك تفترسين فمي كما تشائين. غمرني إحساس غريب وكأنني أصبحت عبدا لا حق لي في شيء, أقدم فمي لعائشة تفعل به ما تشاء, بدون أي شرط, قد تعضني أو تمتص ما بقي لي من رحيق دون أن أرفض. سرعان ما أقول: إنها عبودية جميلة ورائعة ما دامت تجلب لي كتبا وأوراقا نفيسة."

إلى النضج العاطفي المبكر:

"في الغد ،لم تأت عائشة إلى المدرسة. أحسست بحزن وشوق كبير وكأنني أدخل عالم الهوى لأول مرة, لم أكن حاضرا سوى بجسدي داخل القسم, كنت سارحا ولا أسمع ما يقوله المعلم وهو يفسر بعض الكلمات المتلاصقة على السبورة. طلب مني أن أصف ما يوجد داخل الصورة التي تتوسط السبورة, قلت مسترسلا و بسرعة: إنها صورة امرأة جميلة، شفتاها تشبهان الهلال..لم أكمل الجملة حتى نزلت على رأسي عصا المعلم كالصاعقة. بعدها هوت علي يداه بالضرب, سقطت على الأرض, لم أكن أعرف أنني كنت أصف عائشة بدلا من الصور المعلقة وهي لحيوان صغير مكتوب عليها بالأحمر قرد. لم أكن أفرق بين القرد الصغير و عائشة التي منعها أبوها من القدوم إلى المدرسة. أحد زملائي كان حسودا ولا يريد أن تمارس عائشة معي هذه الحماقات. قرر أن ينتقم منا وكشف المستور لأبيها الذي أقسم أن لا تطرق عائشة باب التعلم .

منذ ذلك اليوم الملعون رفضت أن أقبل كل الفتيات والنساء لأن القبلة التي وراءها ضياع امرأة، تعد قبلة خاسرة."

"**قُبُلات**" هي ذكرى تجربة حب طفولية اغتصبها الكبار.

12. محمد التطواني " هاجس الحب":

يختتم نص "**هاجس حب**" بالسؤال-المفتاح الذي إذا ما نُقِلَ إلى بداية النص، تغير النص بالكامل:
" ترى لو كنت زرت الطبيب النفساني، بماذا كان سينصحني؟"

ربما كان الطبيب النفساني، جوابا على السؤال، سيضع السارد أمام المرآة ليصارحه بأنه، على طول النص، لم يكن يحب أحدا **لما هو عليه** وإنما كان **يحب القيم والصور التي من خلالها يرى الآخر**؛ ولذلك حين هَجَرَتِ "**الحبيبة**" أسلوب حياتها القديم، هجرها "**الحبيب**" مباشرة ودون سابق إشعار.

ولأن النص يكتب للقارئ وليس للأطباء النفسانيين، فربما أمكن طرح ذات السؤال بشكل مختلف:
" ترى لو أشركت القارئ في ما جرى، ماذا عساه يقول؟"

لو أُشْرِكَ القارئ في مجريات النص، لربما تعرف هذا القارئ على أحداث النص كشهادة عن الحب العذري في الستينيات من القرن العشرين؛ ولربما رأى في النص سيرة ذاتية في شكل قصصي قصير نظرا لوضوح خاصيات السيرة الذاتية في بنية النص:

-**التواريخ**:1967 ، تاريخ النكبة العربية وتاريخ النكبة العاطفية للسارد في آن،
-**الأسماء الحقيقية** (الموسيقار الخالد عبد السلام عامر)،
-**السرد الكرونولوجي** للأحداث وفاء للذاكرة...

يبدأ النص بوصف عاشق أنهكته مطاردة الحبيبة:

"مدة طويلة وأنا أمشي خلف قوامها الممشوق بعين لا تغفل، وبدون قنوط. لا أحادثها ولا أستطيع حتى أن أواجهها كما أواجه المرأة كل صباح.

كان هذا قدري عندما بدأت أعلم كيف اتبع خطوات البنات .. ألاطفها كما كما ألاطف الدمى.

لو كان والدها عرض علي هذا العمل بالمقابل لرفضته،أتبعها حين تخرج من منزلها صباحا إلى أن تختفي وسط ازدحام الطالبات بداخل بهو المعهد.وهكذا بعد الزوال.
لا أعرف كم مر من الوقت وأنا أهوى هذا النوع من الحماقة.
لم تكن جميلة الخلقة لتستحق هذه التضحية.تشغلني حتى في أوقاتي الخاصة.كانت عادية.ربما كانت تحتفظ بحسنها من تحت جلبابها.وجهها يحمل ألف سحابة.تجري بداخلها سواق من الغضب والحيرة،وأحيانا تشرق الشمس على وجنتيها وتنتعش الابتسامة،وتصدح الآهات.وغالبا ما تنبثق شرارات من مقلتيها لو رأيتها لوليت هاربا.
تحملت هذا كله وهي لا تبالي.
حسبتها أنانية، تفضل أن تمشي وسط زميلاتها وتحتمي بهن مخافة أن أحملها من عتبة إلى عتبة."

خلال فترة المطاردة والملاحقة، يتعلم العاشق فرائض الحب **"لم يكن من السهل أن تتصاحب أو تتكلم مع فتاة إلا بعد أداء فريضة كاملة."** فللحب فريضة تبدأ بالركض وراء الحبيبة، يتبعها تحرير الخطابات المكتوبة ثم إثبات التفوق في الحياة (الحياة الدراسية، في النص)... حتى إدا ما دنا اللقاء:
" تخيلتها قادمة .. نائمة تخيلتها تتفجر كساقية تحت قدمي ولذلك كان من المستحيل أن افقد صوابي قبل أن تحضر. سأواجهها بنفس النظرات والهيجان والزفرات.
حضرت وحدها بوجهها المستطيل الأسمر.تسللت من درب مظلم ببطء. ثم وقفت كغيمة حائرة ترقب الرياح.
لم يتغير شكلها الذي تعلمت فيه اختيار الألوان. جلباب رمادي فضفاض.. جسمها النحيل يختبئ باطمئنان... أحرف ملامحها الرشيقة لا زالت كما هي .
دنوت منها وكلماتي متعثرة قليلة.ربما أحسسنا، أنا وهي، بنشوة دافئة تدب في أحشائنا وبقي علينا أن نتعلم كيف (نخشخش) فيما بيننا ونرفرف مثل العصافير وننسج طريقنا بأيدينا ونستغني عن الأزرار التي تحركنا كالدمى.
اقتربنا..يؤنسنا مواء حناجر القطط اليتيمة.كبرت حيرتي.
خفت أن لا يوجد بين أصابعها ما لا يشفي غليلي.
طفقت انظر إلى ملامحها ولم نترك وسيلة لنتقرب إلى بعضنا إلا وطرقناها.
مددت لها أصابعي المرتعشة .دفنتها بين أصابعها نقرت بهمساتي نوافذ أحاسيسها فانتقيت من الكلمات ما يناسب همومنا،والتقيت الشفة بأختها إلى حد الجنون.
قبل غياب الشمس وبعد أن شربنا من كل أبجديات الحب أخبرتني بأنها مضطرة للعودة إلى البيت.. ذهبت مخلفة على جسدي دبابيس جارحة، وإيقاعات دافئة. وفي عيونها امتداد لشيء تهواه."

اللقاء الأول أنهى جولة المطاردة بالنسبة للعاشق، كما حرر الفتاة من أسلوب في الحياة كان يعشقه فيها الفتى:
"يسألونني ماذا أعشق فيها؟هل هو صمتها...شكلها...حشمتها...قوة صبرها على طأطأة رأسها؟ "

هكذا، عكس سير النص، تأخذ القصة مسارا مغايرا:
" وفي ظهر احد أيام الأسبوع،حانت مني التفاتة ناحية ملعب كرة السلة بعد خروجي من الدرس.كانت نظرة لم اقدر على (قضم) ما التقطته عيناي.أعدت النظر .. تلمست طريقي لأقترب أكثر من المشهد.. لم اصدق.وقفت تحت نخلة بدا سعفها يميل إلى الاصفرار.انتقلت إلى حائط من الطوب الأحمر عتيق من مخلفات المعسكر الاسباني.جبت جميع جوانب المكان ومازلت لم أصدق. إنها هي .كأني بين النوم واليقظة, بدت الدنيا أمامي معتمة.لأول مرة رايتها تلقي بجلبابها على الأرض وتكشف عن ذراعيها,ترتدي جاكيت أحمر وبنطلونا شفافا ابيض يلامس ركبتيها، وتجر صندلا لتقفز به وسط الذكور والإناث متحررة مما تعودت عليه.وترمي الكرة بشطارة فائقة، وكلما احتكت جسدها بزميل اقشعر بدني،وانقض وجهي. وشعرت بتخاذل يهز مفاصلي،ولم تلبث الدموع أن تهاطلت في تموجاتها الكثيفة."

وبهذا المسار المغاير، تتحقق النهاية الصادمة التي **صدمت السارد ذاته** وهو يتساءل في الختام:
" ترى لو كنت زرت الطبيب النفساني، بماذا كان سينصحني؟"

13. <u>عبد الحميد الغرباوي، "حبيبة الشات":</u>

النص يفجر هشاشة الثنائيات الميتافيزيقية في حياة الفرد وأسلوب تفكيره ليخلص إلى **"الوحدة"** في الكون لينجلي القناع عن الزوجين الفاشلين فيظهرا كما لم يكتشفا ذلك بنفسيهما في أي وقت مضى: **عاشقين كبيرين**.

« تلك هي حبيبته...

اقترب منها، و بصوت مرتعش :

"سلوى ..."

و ما كانت لتستجيب للنداء، لو لم تتذكر أن سلوى اسمها الجديد ..

استدارت ...

و لما .. .

لم يكن سوى ...

ذاك الذي هجرها و تنتظر منه، في أية لحظة، إعلان الطلاق»...

اختار السارد **كفضاء** للسرد "**العالم الافتراضي**"، الإنترنيت، أو **عالم الحرية والتواصل والممكن** وهو الثالوث الغائب في حياتهما. فعلى طرفي هذا العالم يقفان أحرارا يمكنهما اختيار ما شاءا لتقديم نفسيهما بدء من الإسم والصفة والهواية إلى الأحلام والمكاشفة والاعتراف بالحب.

يميز النص بين مفهومين يفترض فيهما التكامل وهما مفهوم **"الحبيبة"** كما في عنوان النص ومفهوم **"الزوجة"** في آخر جملة من النص. إنه تمييز بين **الممكن** (=الحب) **والكائن** (= الزواج).

فالحب الذي تبحث عنه النساء هو في أعماق قلوب أزواجهم، والمرأة التي يتمناها كل زوج هي في أعماق قلب زوجته. والمطلوب هو الغوص العميق في أعماق قلب شريك الحياة للظفر به وبقلبه. فالربيع قد يكون هنا أكثر اخضرارا من العُدْوَةِ الأخرى.

14. هشام بن الشاوي، "عاشق من زمن الحب":

البحث عن حبيبة القلب هو غاية نص "**عاشق من زمن الحب**". وفي رحلة البحث والتلاقي والتواصل، تتضارب دوافع العشاق والمحسوبين عُشَّاقا وتتعدد طبائعهم وأهدافهم:

*__العشيق__: وهو فنان يبحث عن حبيبة مُلْهِمَةٍ تضيء ظلماته.

*__الزوجة__: زوجة رجل آخر يتكلف بمصاريف الحياة وتبحث عن رجل ثان يتكلف بإطراب القلب وإحيائه.

*__الزوج__: زوج مخدوع "**رمى قلبه في سلة القمامة**" ليتفرغ للحياة بمنطق "**الجَيْبِ**" وقضاء الحاجات بشرائها:

"- ارم قلبك في أقرب صندوق قمامة ، حتى لا يدمر حياتك ...

- ألا تستطيع أن تفكر بقلبك ولو مرة واحدة في حياتك ؟

يترك سؤالي معلقا ، ويتجه نحو امرأة تجلس وحيدة ... ثم يخرجان سوية ، وهي تتأبط ذراعه ... "

ولأن العاشق السارد أُحْبِطَ في تجربته الغرامية، فقد "**رسم**" النص على **"صُورَةِ"** أَوْجَاعِهِ. فالنص يتقطع بنجيمات تفصل فقراته كما يتقطع أوصال السارد المهموم **(***)** و"**تقطر**" جمله الباكية في ختام النص "**محاكية**" قطرات الدمع في سقوطها:

"أ لمحها مع زوجها ، في ركنها المعتاد .. تحييني بابتسامة مشرقة ، أحتضن كماني ، و أنطق أ وتاره لحنا شجيا ، تهتز له القلوب ، ولو كانت من صخر صلد .. تتهامس البنات ، وهن يبحثن عن مناديلهن ، وينزف قلبي من عيني

دمعا ...

دمعا ...

دمعا ..."

15. هشام حراك،" حب على الشاطئ ":

بين سلطة بحرين، "**بحر الماء**" الذي يغرق بين امواجه الهاربين إلى النعيم والهاربين من المسؤولية و"**بحر المجتمع**" الذي يشنق بحباله المخالفين للعادات والثائرين على التقاليد، ينساب نص "**حب على الشاطئ**" لهشام حراك .

يتفتح النص على الشاطئ بين الماء والبر لكن سرعان ما يتفرق العشيقان اللذان نشطا النص ليتجه كل منهما "**وجهة العقاب**" الذي يستحقه عن اقتراف "**فعل الحب الجسدي**" خارج أعراف المجتمع: العشيق **لعقاب البحر** والعشيقة **لعقاب المجتمع**:

"يقرر أن يقطع البحر في اتجاه الضفة الأخرى خوفا من كلام الناس ونظراتهم اللاسعة ... يعزم على أن لا يعود أبدا ... يقول لنفسه إنه لو كان له عمل قار، وسكن مستقل عن ذويه، لما تركها تواجه مصيرها المؤلم ... يقول لنفسه هذا الكلام، وينقلب الزورق الذي يقله إلى الضفة الأخرى، فتقع له الواقعة..."

16. زهور كرام، "ومضة":

"**ومضة**" عنوان النص هو رديف "**القُبْلَـةُ**" التي تحاول الحبيبة من خلالها "**إضاءة**" عوالم سعيدة تخرج الحبيب المجنون من بئر ذكرياته الشقية وإنارة عوالم معتمة من حياته لطرد أشباح الشقاء الكامنة هناك وإلهاب قوة الرغبة في الحياة داخله ليتجدد ويُقبل على اقتسام الحب والسعادة معها.

لكن هل تشفي "**قُبْلَةُ الحُبِّ**" من يعاني فوبيا الظلم المؤسسي والاعتداء المؤسس على أمن المواطن وامتهان كرامته؟

ربما لذلك **لم تُثْبِت** "**القُبْلَـةُ/الومضة" أو "القُبْلَات/الومضاتُ**" فعاليتها، فكانت المراوحة بين "**الومضة**" و"**الصفعة**" في آخر النص كتحول يائس في سلوك الحبيبة التي أضناها الصبر على حث الحبيب على البقاء على قَيْدِ "**العقل**":

"ثم صفعة بقوة الغضب الذي تجمع في حنجرتها ترسمها على خذه الأيسر وتشربه كأسا من ماء شفتيها ثم تهمس في أذنه: «تذكر كأسي كلما طُرِقَ الباب لترتاح رأسك.»"

17. رشيدة عدناوي ،"حالة شرود":

نص "**حالة شرود**" لرشيدة عدناوي هو **عنوان النص** وهو **موضوع الحكي** وهو أيضا **تقنية السرد**. فالنص بالكامل يجري تحت "**الإيهام**" بالشرود والسهو حتى يشرد وينام القارئ العادي لتفتح بوابة التواصل مع القارئ الفطن الذي ربما سيقرأ النص على هدا الشكل:

"أدخل شاب حبيبته للغاب وقتلها ثم خرج لوحده لكن راع كان قد شاهد وقوع الجريمة هب لأقرب مخدع هاتفي للتبليغ عنه."

"**حالة شرود**" هو نص عن اغتيال الحب، عن موت الحب في زمن يغيب فيه الاهتمام بأي شيء وينعدم فيه الحماس لأي مطلب بسبب الملل المطلق والعياء العام. لكن جريمة قتل الحبيبة جاءت لتحيي في شخوص النص الشاردين قيم التركيز والاهتمام والحماسة:

" كانا كلما بعدت خطواتهما عن هالة الضوء إلى عتمة الخضرة، ينتابني شعور بالخوف لم أكن استطع في البداية أن أجد له تفسيرا. لكن عيني المتطفلتين ما فتئتا تتوجسان نهاية شرودهما المبثور، رغم اختفاء الشابين عن الأنظار في غياهب المجهول تحت ظلال العتمة في غابة العشب الأخضر."

18. نهاد بنعكيدة، "الوشم":

يقترن "**النقش**" بالحفر على الحجر والخشب والمعادن لتخليد معارف وإنجازات أو إبداعات « **للأجيال القادمة تحديا للموت** » بينما يقترن "**الوشم**" بالحفر ذاته لكن على جلد الإنسان الواشم لتخليد ذكرى من الذكريات الحميمية أو مرحلة من مراحل الحياة الفردية « **لمقاومة النسيان** ».

في نص " **الوشم**" للقاصة نهاد بن عكيدة، ليس ثمة داع للخوف من الموت وللرغبة في " **نقش**" المعارف لأجيال المستقبل. فالهاجس المحوري في النص هو " **مقاومة النسيان**" و "**استنفار الذاكرة**" للانتقام ممن تسول له نفسه التلاعب بالحب والاستهتار بكرامة الحبيب.

النص يرسم تقابلات بين **الحب السطحي العابر**(المختزل في العلامات بقلم الحبر على الكف) **والحب العميق الخالد** كما يعبر عنه الوشم بحرقته وألمه على الجسد.

الحبيب، في النص، يخط بقلم الحبر " **علامة**" على كفه ليتذكر حبيبته، بينما هي "**تشم**" حبها له حفرا على جسدها:

« **أن أكون مجرد علامة على يده يرسمها كل صباح بقلمه الأسود قبل أن يغادر بيته، تجعلني أعيد حساباتي معه. أما أنا فجعلته وشما أحمرا بلون دمي، وبنفسجيا بلون فرحي الصغير، وأسمرا بلون قمحي وجلدي، وشما وشمتك في قلبي لو انمحى انمحيت من وجودي ولو تغير لونه أكون قد أصبت بتسمم في شراييني وصمامات قلبي وأدخل حينها في عداد المفقودين** »

ثم جازمة في ختام النص:

« **حسنا، خذني علامة على يدك. فذلك أفضل بكثير من أن تنساني جسدا وروحا على رفوفك. ملفات الكبرياء والكرامة والأخذ والرد لم أعد أتدارسها معك لأن الأمر بيننا تعدى كل تلك المبادئ والمواقف المتشددة. اخترت أن أكون متسامحة متساهلة في كل حقوقي معك وأن أخذ الأمور بكل بساطة كما تفعل دائما. ليس لأجلك ، بل رفقا بي ... ولا تعتقد أني وإن قبلت أن أكون بكل أنوثتي وشعري الفاحم ومشاعري الحمراء البركانية علامة على يدك في صورة نجيمة دالة على هزيمتك لي، فأنا مازلت لم أعلن بعد حربي عليك. ويوم توصلني إلى ذلك القرار ستجد يدي وجسدي موشومين بعلامات كثيرة من فئة تلك النجيمات** ».

19. سعيدة فرحات، "هي والسكين":

نص "**هي والسكين**" يدور حول حياة زوجين خمد ما كان يجمعهما، " **الحب**"، فصارت حياتهما **حياتين** وعالمهما **عالمين** والنتيجة المنطقية أن النص ذاته شطر إلى **شطرين**: الشطر الأول بطلته الزوجة قبل أن تنام والشطر الثاني بطله الزوج بعدما استيقظ من النوم بينما تبقى الخاتمة متوقعة ومكرسة للانكسار:

« **وبذلك بدأ يوم جديد ليجري كل واحد منهما في طريقه الخاص وعينه صوب أفقه المغاير.**»

ففي الوقت الذي تفكر هي فيه يفضل هو النوم والغياب:

«**ها هي ككل ليلة تستغل فرصة نومه لتمعن النظر في وجهه، و تخاطب غيابه داخلها.**»

وفي الوقت الذي تنام هي فيه، يحلو له التفكير والاعتراف:

« **نامت و الأسئلة حبال مشانق تلتف على عنقها وتصرخ في نومها و الجثة الهامدة قربها لا تحس بشيء. استيقظ من نومه ليجد نصفه قربه و يمد يده ليوقظها لكن يده لا تصل**».

ولأن "**الانقسام**" هو بطل النص بلا منازع، فقد كان لا بد له من اسم: "**السكين**".

20. أسماء حرمة الله، "بلا عنوان":

عنوان النص، أي نص، يبقى هو الإطار العام لمجريات النص ومنارته الهادية لأحداثه وشخوصه وجاذب القراء لقراءته. كما أن العنوان هو المحدد الرئيسي لاتجاهات الكتابة والقراءة معا. ولأن العنوان يمسك بكل هذه الخيوط داخل النص وخارجه، فإن غيابه أو تغييبه في نص "**بلا عنوان**" لأسماء حرمة الله كان "**قصديا**" و"**وظيفيا**". ولعل أهم وظائف هذا الغياب أو التغييب دفع القارئ للتساؤل:

هل كتب النص على عجل فسقط العنوان سهوا؟

هل النص رسالة مفتوحة للعشاق المحبطين؟

هل...؟

نص "**بلا عنوان**" يتمحور حول محنة الفتاة الساردة المدعوة لحفل زفاف حبيبها من عروس غريبة. ولعل أهم خاصيتين تميزان هذا النص هما "**الحيرة**" و"**الصمت**". وفي ضوء "**الحيرة**" و"**الصمت**"، يمكن تلمس مسوغات اختيار "**بلا عنوان**" كعنوان للنص.

ففي الخاصية الأولى، "**الحيرة**" و"**التيه**"، ينتفي أي انتماء لأي مكان أو عنوان بريدي. أما في الخاصية الثانية، خاصية "**الصمت**"، فينتفي كل ميل للحوار أو أي شكل من أشكال التواصل اللفظي في النص. إن نص "**بلا عنوان**" نص حائر بين العناوين البريدية بعد ضياع الحبيب، صامت مثل الجرح. ولذلك، فهو لا يحتاج إلى "**عنوان**" يقدمه للقراء ما دام الجرح بلاغة والنقش على الجراح بلاغة البلاغات.

21. وفاء الحمري ،"ولادة":

علامة الترقيم المهيمنة على نص "**وِلاَدَة**" هي "**نقط الحذف**" (...). فَتَحْتَ ضَغْطِ "**الوِلاَدَةِ**" التي لا تمهل، وتحت صدمة التغير الفجائي للعالم الذي مسخت ملامحه وأشكال تواصله ووظائفه وأدواره مجتمعة مما أحدث زلزالا وجوديا وسرديا انهارت معه كل الأنساق والرؤى والقناعات، لم يعد ثمة رابط يشد وصال الجمل؛ بل **لم تعد ثمة حاجة لعلامات الترقيم** في لحظة أريد لها الاحتفاء بثمرة الحب، **الاحتفاء بالمولود الجديد**، فكان عوض ذلك برودة الأعداء وافتراس الضواري. ولعل أهم الأشكال الوصفية المشغلة لهذا الغرض هو التفعيل العالي الفنية لأداة التقابل بين "**حرارة**" المرأة الولود (الصراخ والعويل والعرق والدمع) و"**برودة**" المجتمع الذي **يختفي وراء الوظيفة الاجتماعية** (بقفازاته ومعاطفه) **ليبرر لا مبالاته بالإنسان** حيا وعاشقا:

" ما زالت لا تحس بأسفلها ... أصابع قدميها ما زالت تطل عليها من حافة الإزار الأخضر ... وحركة النساء الجامدات جمدت هي الأخرى .... لا حس ... لا حركة ... لا خبر ... تزغلل نظرها ... بدا لها من بين ظلال رموشها المبللة بالدمع خيال نوراني في شكل امتداد ضوئي طويل ... طويل ... كأنه كهف لا قرار له... انتقلت هي سابحة وسط ذاك النور المشع فاختلطت به وراحت في غيبوبة عميقة ...

فتحت عينيها على وجوه كثيرة .... رجال .... نساء ..... لباس ابيض .... أضواء كاشفة .... رائحة كحول مزكمة .... بدت لها الوجوه تتمايل حدقت أكثر فبدأت الصور تستقر ... تتموضع ....هاهي المرأة ذات القسمات الجامدة ومعها الأخرى ذات القفازتين اللتين تقطران دما ... دمها هي ...

نطقت أخيرا ... سالت عن الذي فعلوه وما الذي هم فاعلوه بها ...تكلمت الجامدة بعدما غادر الفيلق الأبيض الغرفة...

قالت بوجه جامد : قد تمزق رحمك ...ومات جنينك ... فاضطر الأطباء لبتره بالكامل ... لك حق إجراء مكالمة مع ذويك ... ذاك الزر الأخضر تضغطين عليه ان احتجت لمساعدة هذه الليلة وعرجت صوب الباب بكل برودة والمرأة الممددة فوق السرير تنظر إليها مذهولة ... مأخوذة..."

تركيب:

تجتمع نصوص "**أنطولوجيا الحب**" ، الجزء الثاني من "**الحاءات الثلاث**" (مختارات من القصة المغربية الجديدة)، حول خاصية أدبية أساسية وهي خاصية "**توحد المضمون القصصي بشكله الفني**" بحيث يعبر الشكل الفني عن مضمونه القصصي "**بعيدا عن كل أشكال السرد النمطي**" التي تطبع معظم الأعمال الأدبية الرائجة ويصبح معه "**المضمون القصصي تجليا من تجليات الشكل القصصي**". ف"**التعبير عن المضمون القصصي بالشكل القصصي**" و"**التعبير عن الشكل القصصي بالمضمون القصصي**" كان السمة الأساسية لنصوص العشق التي لا يمكنها أن تكون عاشقة تحت سيادةِ نمطيةِ الكتابةِ القصصيةِ و"**سكيزوفرينية**" الخطاب السردي.

محمد سعيد الريحاني

القصر الكبير، بتاريخ 22 شتنبر 2007

الباب الثاني:
الأنطولوجيا

" كيوبيد والشيطان"

"أن تفتت الزهرة إلى ذراتها وعناصرها بحثا عن جوهرها وسرها هو اغتيال لسحرها ورونقها..
أن تبحث عن دلالات الحب ومعانيه في القواميس اللغوية هو إلغاء لهذه العاطفة السحرية..
الوردة وردة.. والحب حب..
وغير هذا التفسير هو ابتعاد عن صحة التفسير.. !!"

- محمد فري-

حك الشيطان قرنيه..وشحذ رمحه بعناية... واستعد ليوم جديد يسقط فيه بعض الرؤوس التي يضيفها لمجموعته المتكاثرة باستمرار... شابه إحساس بالفخر والارتياح وهو ينظر إلى سجلاته المليئة بانتصاراته..تفقد ذخيرته من السلاح ... اطمأن لسلال الكراهية والحقد التي يزرعها في النفوس... وارتاح لمضادات الحب النافذة... والتي كانت تؤتي أكلها كل حين...

ألقى نظرة إلى العالم أسفله فراقه الصراع الأبدي الذي سطرت معاهدته منذ هابيل وقابيل .. صاح بملء فيه "حي على الشر"... ثم اخترق السحب وغض النظر عن السماء الصافية الزرقاء..لون لا يعجبه ... بل يكرهه... الزرقة صفاء والصفاء نقاوة وهلم جرا إلى ما لا نهاية من المصطلحات التي لا تجد مكانا في قاموسه الحافل "بالأمجاد"..تمنى أن تتكاثر أدخنة الحروب المعتمة... هي وحدها تثير شهيته وتدفعه إلى المزيد من الفتوحات..

- " هؤلاء الفانون الأغبياء... كم يروقهم أن يعزوا أنفسهم بالدعوة إلى المحبة والخير..ونبذ الأحقاد والشر.."

همس بداخله ثم صاح من جديد:

- " الشر قوة... الشر أصل... والنفوس الضعيفة تحتمي بالتظاهر بالخير..."

استمر في اختراقه السحب متجها نحو الأسفل.. باحثا عن صيد نفس ضعيفة... من بعيد تراءى له الملاك "**كيوبيد**" ممتشقا قوسه... انتابته ضحكة هستيرية هازئة...

- " أنت أيها الطفل الغرير..خسئت إن ظننت أن سهامك تفتح القلوب إلى المحبة..."

لم يعره "**كيوبيد**" اهتماما..اغتاظ الشيطان من لامبالاة الملاك... وسدد رمحه نحوه يريد به " شرا".

ارتفع الملاك قليلا إلى الأعلى فمر الرمح من أسفل دون أن يمسه... وبهدوء أمسك بقوسه وزرع فيها سهما سدده نحو صدر الشيطان... قهقه هذا الأخير وهو يبصر السهم متوجها إليه... تلقاه بصدره هازئا واثقا من خلوده... مثل اللمحة اخترق السهم صدره وأصاب قلبه... فجأة شعر الشيطان بخفقان لم يعهده من قبل..وأحس أن ذخيرة الشر تتناقص بداخله..وبحركة لاواعية تحسس قرنيه فلم يجد لهما أثرا... ثم التفت خلفه فشعر بجناحين أبيضين ينبتان بظهره.

"تانيت"

" "تـــانيت" هي إلهة الخصب في معتقدات أجدادنا، تحكي الأسطورة أنها كانت تعشق ابن كبير إحدى القبائل حد الجنـــون، غير أن كبير الآلهة مذ رآها في أصيل ذات يوم تسبح عارية في البحيرة، هام حباً بها فطلب يدها للزواج، ولما أعرضت عنه، منع نزول المطر انتقاماً."

- فتيحة أعرور-

جالت بعينيها في أرجاء القرية، بصرها ما عاد يسعفها في تبين ملامح العابرين، حتى أحفادها لم تعد تميز بينهم، نهضت بخطى متثاقلة نحو الربوة، يد خلف ظهرها والأخرى تمسك بعكازها أو "**رجلها الثالثة**"، تسميه كذلك نكاية بنفسها تارة وسخرية من القدر أخرى!.

ينتابها إحساس بالانتماء إلى عالم لا تربطها به أي صلة.

- تباً.. كل شيء تغير!.

تجد متعة لا توصف لما تقصد "**قِبلة الحب**"، هكذا يحلو لحفيداتها وصف المقبرة مازحات..

- جدتي ذاهبة إلى "**قبلة الحب**"!.

- تعتقدين أنها ماتزال تحب جدي فعلاً؟.

وكيف تفسرين ارتباطها بذلك العالم أكثر من اهتمامها بأمرنا؟!.

بدت غارقة في الحزن وهي تجلس عند قبر زوج رحل عن هذا العالم منذ نصف قرن تقريباً، استرسلت في الشكوى تخاطبه كما لو كان حياً يرزق، أخبرته أن زوجة أكبر أبنائه لم تعد تجد حرجاً في ملاجحتها، وأنها أصبحت تنعتها بالخرف!.

قالت أيضاً أن كنتها الأخرى رحلت عن البيت الكبير منذ مدة بعدما خيرت زوجها بين الطلاق والعيش بعيداً عن ذويه، بدعوى أن الحياة وسط هذا الجيش العرمرم لم تعد تطاق!.

- آه يا "**إيـدَّرْ**" كم أصبحت حياتي رتيبة، أترك فراشي مع آذان الفجر، أتوضأ وأصلي وأبقى متسمرة في مكاني لساعات في انتظار استيقاظهم حتى أتناول إفطاري، قوتي خانتني.. لم أعد أقوى على إعداد "**براد شاي**" حتى!

توجهت إلى البئر كي تجلب الماء، ساعدتها إحدى فتيات القرية في نقل الدلو إلى المقبرة، وجدت عنزة تنط فوق قبر زوجها، صبت عليها جام غضبها وهي تهم بطردها، رشت الماء بعناية على "**أرواح**" الموتى كما تفرض العادة، ثم جلست مستسلمة لحنين أخذها إلى الأيام الخوالي..

صادفته ذات مساء عند سفح الجبل، لما بدأت الشمس تميل نحو المغيب، تناهى إليه صوت نحيبها، سألها عن سبب حزنها لتخبره أن شاة تاهت عن القطيع منذ الظهيرة ولم تعثر عليها، قالت له أيضاً إنها تخشى عقاب زوجة أبيها التي لا تتوانى عن الانتقام منها لأتفه الأسباب.

هدأ من روعها ووعدها بأنه سيعثر على ضالتها كي تعود قبل أن يسدل الليل ستاره، غاب ردحاً من الزمن ثم رجع بالشاة التي وجدها عند الغدير، رافقها إلى أن بلغت مشارف القرية، ودعها واختفى بين أشجار الغابة.

من حينها لم تنس طيفه، هجرها النوم لليال عدة، تمنت لو تراه ثانية.. لو تضيع منها الشاة مرة أخرى ليظهر كنبي خلاص!.

مضت سنة بتمامها ليأتي فجأة وبلا سابق موعد، كانت ملامحه بدأت تتلاشى في مخيلتها مثل سحابة صيف، شاب قوي البنية لفحت الشمس وجهه..

يعدل من وضع بندقية على كتفه، ثم يقف بكبرياء غير بعيد من النبع حيث كانت منشغلة بملء القربة.

- صباح الخير..

قـــال

التفتت إليه غير مصدقة، حاولت أن تخفي فرحة تكاد تنط من عينيها، ارتبكت فسقط الدلو من يديها.

- فأل حسن!.

- لِـمَ؟!.

- لقد اندلق الماء من يديك في حضرة رجل..

ابتسمت ثم سألته:

- ماذا يعني ذلك؟

- اسألي نساء القرية عن حكاية المطر والربة "**تـانيتْ**"!.

لا أعرف عنها شيئاً..

- "**تـانيت**" هي ربة الخصب في معتقدات أجدادنا، تحكي الأسطورة أنها كانت تعشق ابن كبير إحدى القبائل حد الجنون، غير أن كبير الآلهة مذ رآها في أصيل ذات يوم تسبح عارية في البحيرة، هام حباً بها فطلب يدها للزواج، ولما أعرضت عنه، منع نزول المطر انتقاماً.

قصد سكان القرية "**تـانيت**" يتوسلونها لتقبل به زوجاً حتى يزول غضبه، وكان أن ضحت بحبها ووافقت على الزواج، سقطت الأمطار في تلك السنة غزيرة على نحو غير مسبوق، ومنذ ذاك الحين أصبح اندلاق آنية الماء من أيدي العذارى رمزاً للحب ووعداً بالزواج.

طأطأت رأسها خجلة، بقي يتأملها وهي تعبئ القربة المعدة من جلد الماعز.. بدت له أكثر نضجاً وجمالاً من المرة السابقة، ناولته الماء ليروي عطشه ثم قال مازحاً:

- ألم تضع منك الشاة مرة أخرى؟!.

- صرت أكثر حذراً من ذي قبل!.

تحسس بندقيته، أمسك بزنادها ومضى نحو الغابة، ودعها تاركاً مائة سؤال معلق في رأسها، فكرت في أنه صياد مهووس بملاحقة الوحش بين الأشجار!.

في الغد جاءت في الموعد نفسه، توقعت أن تلتقيه عند النبع، انتظرت غير قليل من الوقت لتعود خائبة.

لم يكن الشاب الذي يظهر ويختفي مخلفاً وراءه أسئلة الارتباك والحيرة، سوى واحد من المقاتلين في صفوف المقاومة المسلحة أو"**إيغوَّاغن**" كما يسميهم الأهالي.

في الغابة المجاورة لقريتها، كان المحاربون يجرون التدريبات العسكرية ويعدون خطط الهجوم، ليقطعوا إثر ذلك عشرات الكيلومترات حتى ينفذوا الضربات الخاطفة ضد العدو، ثم يقفلوا عائدين من حيث أتوا.

كغيره من المقاتلين، كان قد قطع على نفسه وعداً بألا يفكر في شيء آخر غير تحرير الأرض التي استباحها الطارئون، إلا أن ظهورها في حياته غير أشياء كثيرة، هو الذي عرفه رفاقه كتوماً لا يتحدث إلا في أمور الحرب وأساليب القتال.

قال محدثاً أحد رفاقه:

- "**تُـودا**" * تشبه عروس المطر، ليتك تراها يا رفيقي!.

- احذر أن يسمعك الزعيم، سيعتبر ذلك ضعفاً، هنا امرأتك هي القضية التي جئت لأجلها، هل فهمت؟!.

لاذ بالصمت وانهمك في تعبئة بندقيته بالبارود استعداداً لعملية تقرر أن ينفذها رفقة عدد من رفاقه.

كان يرغب في البقاء محارباً، لكنه ود لو كان بوسعه اصطحاب "تودا" معه، إن تزوج بها، إلا أن الأمر غير مقبول البتة في أعراف المعسكر.

مضت شهور عديدة دون أن يرى فيها أهله، في إحدى المرات عاد رفيق له من زيارة قريته حاملاً معه خبراً قلب كيانه رأساً على عقب.

- "**إيـدَّر**" *.. يؤسفني أن أخبرك أن والدك.. رحمة الله عليه.

انزوى في ركن خيمته حيث فاجأه "**أمغار نيغواغن**"* يبكي:

- النحيب للنساء، محارب شجاع مثلك لا ينبغي له أن يضعف مهما كان السبب!.

- مات والدي دون أن أحضر دفنه حتى!.

- أفهمك، لكن عليك تمالك نفسك، لا يجب أن يراك الرفاق تبكي..

فكر في أمه وإخوته الذين ما يزالوا بعد صغاراً، قضى ثلاث ليال متواصلة دون أن يغمض له جفن، يضرب الأخماس في الأسداس، يقلّب عشرات الحلول في رأسه، ليقرر في نهاية الأمر المغادرة والعودة إلى قريته.

لم يمانع قائد المعسكر في رحيله بعدما حدثه عن ظروف أسرته، ومع أنه كان على يقين بأنه يفقد واحداً من أقوى وأشجع رجاله، فقد رأى أن وجوده في قريته كفيل بأن يحل مشكلته ويساعد المقاتلين في أمور كثيرة.

تململت العجوز في مكانها لتسأل رفيقها الغارق في صمته الأزلي:

- أتذكر يا "**إيدَّر**" كم كنت حزيناً لما جئت للقائي ذلك اليوم عند سفح الجبل؟ لم أعرف حينها ما إذا كان علي الفرح أم البكاء، كان قد مضى على وفاة والدك خمسة أشهر.. كنت شارداً قليل الكلام، بقيت صامتاً للحظات طويلة قبل أن تفاجئني برغبتك في الزواج مني!.

حاولت تمالك نفسها وهي تمنع دمعة ساخنة من الانسياب في تعاريج خدها، ثم عادت لتمخر عباب زمن أفل إلى غير رجعة..

استقراره في القرية بعد زواجه وإنجابه ثلاثة أطفال لم يحل دون تأمينه الدعم اللازم لرفاقه في المعسكر. كانت تصله بين الفينة والأخرى رسائل من "**أمغار نيغواغن**" ، يأمره فيها بتيسير تنفيذ خطة ما أو إرسال المؤونة، لذلك شعر بأن دوره الجديد لا يقل أهمية عن وجوده في الجبل.

مساء ذات يوم جاء أحد رفاقه ليخبره أن جيوش الفرنسيين قريبة من القرية، وأن عليه تدبر الأمر قبل الاستيلاء عليها وإذلال أهلها.

دعا إلى اجتماع طارئ لحشد عزيمة الشباب وبث الحماسة في أنفسهم لمواجهة الغزاة، زودهم بكل النصائح التي يحتاج إليها المحارب في قلب المعركة.

عاد إلى البيت مع إطلالة الفجر، كانت زوجته وأمه في انتظاره، لم تناما طوال الليل بعدما بلغهما نبأ دنو العدو، أخبرهما بأن يوم الغد سيشهد معركة شرسة، وأن عليهما الاستعداد للمغادرة باتجاه الغابة رفقة باقي الأهالي من النساء والأطفال والشيوخ.

في أرجاء البيت خيمت أجواء حزن قاتم، كان "**إيدّر**"قد هيأ العدة وعبأ بندقيته بالبارود، ولما تأهب للمغادرة ودَّع زوجته وأمه قائلاً:

- **أدُورْ تسميطواث! إبرزيكو گخف، يوف ثَنْباط إيرومين!**

(لا تبكيا، رصاصة في الرأس، أشرف لي من أن يُذلني المحتل!).

زحف الأهالي من المقاتلين الأشداء باتجاه العدو، خاضوا معركة ضارية ببنادقهم البسيطة، بعد ساعتين صاح أحد أبناء القرية وسط صوت ورائحة البارود:

- "**إيدَّر**" أصيب، "**إيدَّر**" أصيب..

حمله بين ذراعيه مبتعداً عن ساحة القتال، كان دمه ينزف غزيراً بعدما اخترقت صدره رصاصة لم تخطئ هدفها..

فجأة أحست "**تودا**" وكأن صباها عاد إليها، أزاحت عكازها جانباً، رأت نفسها تمشي قبلة الجبل حيث ترجل فارس عن صهوة جواده، لما اقترب منها أشاح بطرف برنسه الأبيض على كتفه اليمنى، أمسك بيديها.. اختلط حزنها بالفرح.. رمت بنفسها في حضنه وانفجرت باكية:

- قلت للجميع أن "**إيدر**" لم يمت ولا أحد منهم صدقني!

*** اسم علم مؤنث أمازيغي**

*** اسم علم مذكر أمازيغي**

*** كلمة أمازيغية تعني كبير المقاومين**

"عاشق أخرس"

" لن أزعم، كعاشق، أن الحياة من دون حب يباب...
لن أنفي حلاوته كمن لم يتذوق مرارتها العذبة قط،ولن أؤكدها كمن تجرعها حتى الرمق الأخير.
فمن الممكن، أن يكون الحب وهما لذيذا يعيشه المرء كما يحتسي نبيذا أو عسلا أو سما.
ومن الممكن أن يكون في اختلاق الحب نزوعا نحو هاوية الذات حيث الآخر الساحر الذي يريحنا تقتيله لنا، فقط لأننا نحبـــه ونحبه..."

-الحبيب الدايم ربي-

عثرة الحظ أوقعته في سؤال ما كان يتوقعه . رجل ثقيل يسأله من غير مناسبة عن معنى كلمة "خرساء" التي ابتدأ بها شاعر مجهول قصيدة . دون جدوى كان يتتبع حركة الشفاه السائلة: خرساء ، خرساء ، خرساء . فما التقط من الإيماءات إشارة . بعد لأي ، وحين كاد صبر السائل ينفد ، جاءه الفرج فردّ في حرج : خرساء من لا ترد ، أو بالأحرى من تتعمد عدم الكلام.

وانتهت الواقعة هنا برجل ثقيل الظل وآخر ثقيل السمع ، يلتقيان على مضض ، ويفرنقعان من دون ندم. الرجل الفضولي سوف يمضي إلى مزيد الرعونة ، بينما سينصرف الذي يخونه السماع إلى البرطمة بسباب لا يوفر قليلي الذوق والشعراء من الحساب . سيستعيد ، من دون ريب ، هذه اللحظة بغير قليل من الامتعاظ ؛ ويبصق في وجه الوقاحة . بيْدَ أن شكوكا ستراوده بشأن مفردة " خرساء". ستبدو له غير مناسبة للتعبير عن حبسة الشفاه وحدها. أما كان للقواميس أن تخص بها ، أيضا ، من لا يسمعون مثله ؟ قد يحتج في سكون.وقد لا يكون تبعا لمنطق الحكاية .

***

على صمت كان يتلظى بحبها . يترصدها من بعيد كي يتأمل الجرة تلامس شعرها الجموح كلما قصدت عين الماء للسقيا . العشق مذلة . وهو حين يأتي من أخرس يغدو فعلا أقرب إلى الشناعة. كان قد أوغل في التيه. عيناه بوابتان لقصيدة مخلعة الأوزان صماء ، والجمال المترجل أمامه ، متثنيا ، سبحان الخالق الناطق . كأنما كانت صاحبته على غيمة تخطو ، خفيفة ، رشيقة ، صموتة. تعبر التلة في ذهاب وإياب. لم يعد قلبه يطاوعه ليبقى نائيا ، يتأمل "خرساءه " من خلل سد القصب . ما صار السر واحدا وإنما غدا اثنين وثالثهما عاذل قد يقتحم المشهد مدعيا الاستفسار عما قاله شاعر مزعوم في الحبيبة. والحبيبة ، مهما صدّت ، هاهي تقترب ، لم تعد بدورها قادرة على الصمود أكثر.

ولأنها كانت مثله خرساء فقد ناولته جعبة قصب كي يسكب فيها هواه . ففعل . انذرفت دموعه فوق القصبة فخرمتها سبع خرمات . وعلى مدى أيام الأسبوع ، ومنذ كان الماء والقصب ، راحت النايات، كلما هبت الريح ، تشدو بأنغام شجية يزعم العواذل أنها لعاشق أخرس يلوذ بحقول القصب!

"حب"

" القصة أشبه بعلاقة حب، لا تنتهي بلقاء عاشقيها، فالحب أساسا لا ينتهي إلا باللوعة..
وبولع الحروف، والكلمات، تنتهي الكتابة عند أول معبر سري حيث الدهشة تحوم بأجنحتها، هناك حيث النص المختلف".

- أحمد الفطناسي-

خطت المرأة بخطوات متثاقلة اتجاه شجرة التين المباركة، والمحاذية لخلوة الولي الصالح المقيم بقبة رأس الجبل ، وقبل أن يتبين الخيط الأسود من الخيط الأبيض قامت بتطهير جسدها بالماء ، بينما ظل الصبي فوق السطح يخاطب النجوم وهي تهيم سابحة في السماء .. ظل قابعا على السقف لعله يهذا من علة الروح قبل الجسد بماء باركته النجوم والأرواح وحظوة جوار الولي الصالح ..

الشجرة السامقة بفروعها قرب البيت مزينة ب.." التابعة " حيث الأحزمة والملابس الداخلية لنسوة رقص الحظ و "الزهر" بعيدا عنهن ، ولم يسعدن بذرية تنسيهن ملاذ الوحدة، وتبقي على فرع سامق كفرع الشجرة المباركة ...

مجموع حجابات ، وصرر تخلص منها أصحابها رميا بعد وصية العرافة ...مررت بيدها الملساء الرطبة على وجهها وصدرها بعد أن لمست اليد نتوء الشجرة المباركة ، شجرة التين ..بحثا عن راحة تدركها لوحدها ..انزوت في مكان حيث أوراقه حولته لبساط ناعم ، عانق برفق أخمص قدميها المطليتين بالحناء .. بدت قدميها مطرزتين بورق الشجرة ..أدركت وهي تتخلص من نعليها سر سريان دم ساخن يداعب تلك الشعيرات الصفراء ..التي تطلي رجليها معا ..أعادت تلاوة تلك التعاويذ التي تحفظها عن ظهر قلب ، رفعت رأسها للسماء ، ..شدت حزام وسطها ..وانتشت لحظة..لحظات..كلما أفاقت أغمضت عينيها الذابلتين ..ومررت راحة يدها على وجنتيها الحمراوتين ..وتنهدت ..

عند مجرى الوادي كانت النسوة ينشدن إيقاعا مكتوما حول حواشي الوادي مرتعا للروح والسكينة ..امرأة ترمي قطعة ثوب بيضاء صافية على نبتة الدفلى ..بعد أن أتممت النشر اتضح أن قطع الثوب تتوسطها بقع دم أحمر قاني يميل للبني ، إنها البرهان الذي يجعل شباب ورجال القرية يشيرون لشرفها ، بإمكان والدها أن يذهب كعادته للسوق ، بإمكان النسوة ترديد إيقاع الفرح العارم والفخر بشرف تحميه الفحولة ..

عادت هي لتلج باب الخلوة المشع بالسكينة لمست بقدميها شعيرات رضيع حمل يوم الأربعين من عمره لإزالة شعر البطن ، سعيا وراء بركة الولي وأسلافه ،...جثمت داخل الخلوة المشعة على ركبتيها ، أصاب التثاقل رموش عينيها الناعستين ، ..لما مرت هفهفات الريح الساخنة كانت تصيح بصوت متقطع ، ..

- لقد خرج قط من باب الضريح ومر على جسدي .

أدركت حينها سر تلك الروح الساكنة دوما أمام باب الخلوة المشع ،..أعادت قراءة التعاويذ ذاتها في حين أمسكت بيدها فرعا من فروع الشجرة المباركة ..كانت تسر لها بمآل الروح المتمردة داخلها في حين تطلي الوريقات الجافة حوضها تعبيرا على اكتمال لا ينتهي ،.. لكنها أصرت على إتمام لحظة السكينة للنهاية ، خصوصا أن دفء المكان حول جسدها لكوة نار متقدة ..

أعادت تلمس خديها مرددة نفس التعاويذ والتي تحفظها عن ظهر قلب ..مدت يدها لأقرب غصن ممتد، شدت بقوة متحملة آلام شوك وريقات الشجرة المباركة، تملكتها رعشات اللذة حتى أمست تقلب حاجبيها، وعندما حلت سكرات الحب الجارف، حلت قشعريرة الجسد مكان الألم، حينها أحست بسائل ساخن يسيل بين فخديها ..كانت لحظتها تسمع نفس النداء للمرة الأخيرة ..

- متعة السريرة في توحد الروح بالشجرة المباركة.

"عاشق"

"الحرية، يا ولدي، تستلزم تأطيرا وتنظيرا. والحلم يؤدي هذه الخدمة للحرية. لكن الحلم يتوقع فعلا واقعيا يحققه على الأرض. وهذا الفعل الواقعي هو الحب. الحب، يا ولدي، رحلة لا تنتهي. إنه مغامرة تكسبك النضج. ومقياس النضج هو العطاء. فالحب عطاء من الوقت والمال والعقل والروح والجسد... ولذلك، فالحب، يا ولدي، تجل من تجليات النمو النفسي والعقلي والجسدي. ولكنك، يا ولدي، لن تحب ولن تستمتع بالحب ما لم تحب نفسك: أحب ذاتك قبل أن تحب الآخرين. عد إلى ذاتك. تعرف مزاياك. راقب نقط قوتك. استمتع بجمالك أمام المرآة. تذكر لحظات السعادة والذكريات المشعة في حياتك. راجع معجمك الإيجابي وأسلوب خطابك المحبوب عند كل المجالس. افتخر بما تتميز به عن باقي الناس، فالاختلاف وحده مبرر استمرارية الوجود...

يا ولدي، أحب نفسك كي تحب الآخرين. إنك إذا امتلكت الحب حررت الأشقياء من البشر، وإذا امتلكت السعادة أفرجت عن البؤساء من الناس، وإذا امتلكت النور أضأت ما حوليك..."

- محمد سعيد الريحاني-

عن نص "**الحاءات الثلاث**"

("**موسم الهجرة إلى أي مكان**"، مجموعة قصصية ،2006)

شيء خفي يوجهني هذا المساء نحو هذه الشجرة الوارفة الظلال. قوة مغناطيسية تجذبني للخلوة تحت أغصانها الحكيمة... وأشعر بالأمان من مطاردات الفضوليين طيلة النهار:

- أنت شارد!....
- يدك باردة!...
- هل تحب؟...
- عاشق، أنت عاشق...

أستاذ الفلسفة، ذاته، أوقف درس اليوم لينبهني:

- انتبه يا ولدي، ركز انتباهك على الدرس كي تستمتع به، إنك لن تفهم شيئا ما لم تستمتع به. المتعة والفهم وجهان لقوة واحدة. فاستثمر قوتك وركز انتباهك على هذا الدرس داخل هذا الفضاء في هذه اللحظة: هذا، هنا، الآن...

نبض جذع الشجرة في ضلوعي يذكرني بالحكمة، وأجدني " الآن" أرقب " هذا" الغروب يحتضر "هنا".

الليل يلعق اختلاط الألوان في الأفق حيث بدأت النجوم سباقها بحثا عن موقع على رقعة السماء. النجوم تتغامر من على بعد سحيق. النجوم ليست كما كانت تبدو لي دائما: مجرد جمرات كبيرة تحوم في سواد الكون. للنجوم هذه الليلة، حياة أخرى خفية تنبض عشقا وغراما، فالنجوم الأكثر لمعانا كتلك النجمة الوحيدة هناك هي في الغالب نجمتان كما يقول علم الفلك الحديث: نجم برتقالي ونجمة زرقاء. نجمان يرتبطان بجاذبية خفية تشد هذا لتلك فيدوران حول بعضهما البعض في غزل صامت، مضيء... ربما النجوم لا تضيء إلا لكونها تعيش حبا. وربما لولا الحب لانطفأت جذوتها وتناثرت في الفراغ كباقي النجوم المحرومة، نيازكا وشهبا...

أنا الآن أستمتع بوميض النجوم وعشقها، عشق عمره الآن آلاف السنين بين نجوم على بعد آلاف السنين الضوئية ... تلألؤ النجوم يزين السماء ويضفي على ميكانيكية حركة الأجرام السماوية بعدا غراميا.

نبض الشجرة يسري في جذعي يدفق قوي جديدة في شراييني، يقويني، يكبرني، وسيصبح بإمكاني، بعد قليل، الإمساك بالقمر الذي بدأ الآن أولى دحرجاته على الأفق هنا بين كفي يدي.

"لازمة المحنة"

"هل توصلتِ معي إلى تعريف الحب؟ أم أن المُعَرَّف لا يُعَرَّف؟

الحب لذة...

الحب مثالية...

الحب عواطف روحية...

الحب حكمة...

الحب امتداد نحو التجسيد... نحو الجسد...

الحب تحيين لماضي الذوات البشرية...

الحب ارتقاء نحو عوالم خالدة أزلية... نحو جمال الأفعال الجميلة... صعود نحو الأرواح الجميلة... تذوق لكل الأجساد الجميلة... انزياح نحو المطلق الخالد... نحو الامتلاء والتمام والكمال... تصوف دون تقشف... شبع دون جوع... ارتواء دون عطش..."

- محمد اشويكة-

أبجدية أولى:

من نفسي إلى نفسي (نَفسُكِ نَفَسِي)...
من نفسي إلى رعشتك...
من النفس إلى الرعشة...
من الماء إلى الماء...

أبجدية السؤال:

هل لازال الماء يصل الماء أم أن بحور اللوعة عطشى؟

منذ أن لفحني نسيم رسالتك الأخيرة، منذ أن ذَوَّى رعد حضورك في سهوب روحي، منذ أن ساح ماء عشقي بين ضفاف أَنَاتك، بدأت الأسئلة تنتابني بشكل متزاحم: هل الحب ضرورة؟ بمعنى أن إمكانية الوجود قائمة على إمكانية تحققه؟ هل مجرد الشك في الأمر دلالة على أن الذات تخضع لسؤال يطرح نفسه علينا باستمرار؟

أبجدية الصراع:

الحب قيمة تجعل الذات المُحِبَّة والمحبوبة تحت وطأة حرج الصراع بين قيم الجسد وقيم الروح... إنه تحمل لقوة، ضَغْطُ رَغْبَةٍ، خذلان عاطفي، وإكراه فوقي... يجعل الذات تميل وتنجذب نحو أو بواسطة شيء ما، حيث يكون هذا الشيء بمثابة الواحد الأوحد الذي تزداد مكانته اتساعا في الحياة أكثر فأكثر من أجل تشكيل فعل حركي في الأصل... أنا أعشقك على هذا النحو وأعشق الحياة بهذه الطريقة الطريفة... تتولد حركتي فتندمج مع حركتك ويصبح هذا الثالث حركة أخرى... تتألف الحركة الأولى مع حركة ثانية أخرى فنصبح نحن الاثنان امتدادا للحركة الأصل...

أطلب أن تكون حركة فردانية لا ثنائية بعدها... من الحب الحركي إلى الحب اللامتناهي... أيتها اللامتناهية؟ كيف أسْبَحُ في مياه حركتك؟

أبجدية الموضوعية الهاربة:

هذا يعني أنه لا يمكنني أن أتجاهل مؤثرات العشق وعواقب العاطفة... للقضية مسار في التاريخ يحدد ما سيأتي... نحن كائنات زمانية، محكومة بالتلف جسديا، والتصارع نفسيا... ماذا عسانا فاعلون أمام قسوة العشق هاته؟ نتآلف ونتخالف، نتحالف ضد الذوات الشريرة، نتآسر ونتجاسر، نكسر الطعنة الطائشة... عظمي عظمك، قلبي قلبك... لننضخ دما واحدا... ونفكر بطرق متعددة عنيدة... هذا الثالث منا: ما أروعه!

أبجدية البوح:

ما الذي دفعنا إلى هذا التآلف الجسور؟! ما الذي دفع بِغَرْبِ اللوعة نحو شَرْقِها؟ هل سيتوحد جنوب الضغط بشماله؟ قد تكون جهتنا وحدة الجهات... من نقطة واحدة يتآلف الشتات: شتاتنا... للحب هندسة وجبر... اتصال وانفصال... الشكل والعدد ذوبان في آفاق الحب: كيف أحبك؟ كم أحبك؟ لا يهم ما دام الحب متحققا... الحب لا يخضع لمنطق الكثرة، ولا يقبل بطبعه الانشطار... كَيْفُهُ كُلية، وانقساماته متصلة...

من أجل أبجدية فلسفية للعشق:

هل توصلتِ معي إلى تعريف الحب؟ أم أن المُعَرَّف لا يُعَرَّف؟

الحب لذة...

الحب مثالية...

الحب عواطف روحية...

الحب حكمة...

الحب امتداد نحو التجسيد... نحو الجسد...

الحب تحيين لماضي الذوات البشرية...

الحب ارتقاء نحو عوالم خالدة أزلية... نحو جمال الأفعال الجميلة... صعود نحو الأرواح الجميلة... تذوق لكل الأجساد الجميلة... انزياح نحو المطلق الخالد... نحو الامتلاء والتمام والكمال... تصوف دون تقشف... شبع دون جوع... ارتواء دون عطش...

أبجدية التجدد:

هكذا أفهم / لا أفهم الحب! ليس من الضروري أن نفهمه، المهم أن نعيشه، ولو برهة! نحن في عمق التجربة، مُجَرِّبان حللنا قارورة التجربة؟ لنعد طرح السؤال من البدء... السؤال الذي لا يتجدد ليس سؤالا عاشقا... سؤال مصاب بفقر القلق... تلزمه منشطات من نِتْرَات التقرب، ميليمترات من الإحساس، ذرات من الإيثار، لترات من الصفاء... يلزمه عَدَمٌ من الحسد... هكذا أعشقك، متجدد طبعا، لذلك أنا متغير باستمرار، الحب أحوال! هل أُصْبِحُ في كل صباح رجلا آخر وتصبحين في كل صُبْحٍ نسمة تحمل عبقا آخر؟

أبجدية الولادة:

ما ألذ أن نسافر نحو لذة المطلق! أن نتجاوز هذا الواقع لنحوم بالأنفاس في سماوات أخرى مفتوحة على المجهول... سماواتك تتيح سياحة تتلقفها أنفاسي الجائعة: جوع الأساطير لأرحام الولادات الأولى. إن هذه الحركة أصل لا حصيلة... الحب أصلٌ... أصلُ الفضائل والفضلاء... الواقع يتجاوزنا، الأمر لا يستدعي المبالاة، نسير ونرى، نسيح ونعيش... الحب تدرج: من الجسد إلى الروح، من الأفعال إلى تحقق الذات بحيث نصل في النهاية إلى تحديد هوية واحدة، موحدة منفردة متفردة: أنا أنتِ، أنتِ أنا، دون زحام أو خصام، دون...

أبجدية الطفولة:

أحبك... أحس أنني في النهاية أعود إلى الملاذ الأول والأخير... حب الحكمة: في تلك المدرسة يرجع الإنسان إلى طفولته... طفولة الفكر... طفولة الحب... طفولة البراءة... طفولة الوضوح... بكل تلك المكونات أحبك... أصبح طفلا في حبك... فهل تقبلين بي شبلا في روضك العطر؟

<u>أبجدية أخيرة:</u>
كما تظنين، كما أظن... للحكاية بداية ونهاية...
بالظن، بالحكاية... نذهب صوب اللانهاية...
لانهائي أنا... لامتناهية أنتِ...
هذا الأفق المفتوح... نحن...

"من السماء إلى الأرض"

"الحب هبة الله للإنسان، الذي يبخل على أن يظهر هذه الهبة لنفسه أو لغيره!"

- التيجاني بولعوالي-

انزويت في ركن وضيع من الحافلة الهرمة، التي تقلنا كل يوم أربع مرات، من البيت إلى المؤسسة، ومن المؤسسة إلى البيت وهي تحرق تحت وطأة عجلاتها المشحوذة في كل مرة أكثر من ستة عشر كيلومتر، في صمت...

وضعت رأسي على زجاج الشرفة، لأعلن انفصالي عن رحم الكينونة، صوفي المزاج يدق أوتاد خبائه في الذاكرة، يبذر حبات تطرفه في الخفاء، ويردد أني لا أعرف عدا أشياء لا تُعرف!

إني أسبر ثنايا هذا الدجى الخريفي الفسيح، والحافلة تشق بنا طريقها نحو نقطة البدء التي تنطلق منها كل يوم باستثناء أيام العطل التي كلما تكاثرت اعترى وجوهنا الشاحبة ما يشبه الانشراح...

على سطح زجاج الشرفة أنا، بشكلي المتهدل وبشحوبي الصوفي غير آبه بهدير الحافلة التي تمزق سكينة الليل ولا بأجساد الركاب المتهالكين، التي تملأ فضاء الحافلة المزدحم وقد أضناها يوم حافل بأتعاب العمل.

عبر زجاج الشرفة، فضاء متألق يستهويني لجلوس أريحي تحت البدر السارح في قصيدة عنوانها السماء، أخلد امتداد السكون العنيد الذي تنغصه من فينة لأخرى قهقهات الركاب المشبعة برائحة الوجد المثخن بالجراح. تهزني صواعقه إليك، أنت الجالسة قبالتي، كلما باغتني الليل وهو محفوف بالاغتراب أو غرد الحزن في مملكتي مواله العتيق فاعتزل الصخب وأزاول صمتي.

برودة المقعد الخشبي تسري في دمي، تغازل كياني النحيل، ونظري يشق بجناحيه بكارة الفضاء اللامتناهي، هذه نجوم مترامية.. هذه سحب تتسابق.. هذه تضاريس "تمسمان" الشامخة شموخ الريف.. هذه شناخيب تتمايل وإيقاع ذاتي.. أنسى وجودي على حافة الكتمان، أزيغ، أجري مجرى آخر، يقذفني الآن نحو قاع المجهول، أكاد أغرق وبأعجوبة أنقذ قلبي من مخالب الافتراس فأقول أني جربت: أنا رجل تجربة!

تخطو أمامي. ألاحقها في ظمأ أخرس. تسحبني من حيزي. أستلذها رغيفا من شهوة. وأنشد لو أني أحل في بسمتها الوردية. أو تغمرني عبرتها الممزوجة بملح الشبق. ألتفت. صاحبي "**سيزيف**" يربت على كتفي الأيسر أستاء وأكرر ما قالته الشمس وهي تغطس في عرض البحر وأمشي تارة منصتا وأخرى هاذيا!

ما فتئت أنخرط في فضاء الحافلة، أمل هذا الليل الذي كلما آنت لحظة الرواح، أضيع في انجذاباته وبين سطوره يغني شرودي فأغيب عن جثماني وأتيه في خواء الخواء. ألمح "**لونجا**" من جديد وهي ترفل في مرقص الكلمات تعكسها المرايا حرفا عذريا. تهتز أشياؤها في خشوع فتتدلى من شرفاتي أعلاق الرغبة. تتمايل في غنج حلو ترشف ولا تثمل. أفارق دمي. أنسلخ و... ما يزال هدير الحافلة يتسلق أنحائي. تعاتب بمقلتيها الثملتين شخصي الذي ينزاح عنها. تغتالني لأفيق من سهوي المزمن. أفتح ذاتي المذبلة. أرمقها أمامي، خلفي.. تتفاقم في خيالي الهواجس والاستفهامات...

- عاهتي أنني لا أرفل.
- وأنا عاهتي أنني أرفل، وبهذا الفعل أحقق قسما من وجودي.

- عذرا، فالأذواق تختلف..
- لكن، الحقيقة لا تختلف والإنسان في حقيقته واحد.
- غير أنه في تصوره متعدد.
- وإن تعدد التصور، توحد في ماهيته.
تصارحني بخدعة من نار، وتقول أنها فاكهة من أشجانه، ولا تدري أنها محرمة، وأن قافلة الدهر قادتها إلى رحابه، فشيدت خيمتها بجواره معتقدة أنه جدير بها.
- إني ما اعتقدتك هكذا، تطلبين الطموح طلابا.
- لقد اكتمل ذوباني فيك.
- والطامة الكبرى أني لم أحس بعد!
- أنت شيطان إنسي!
- إنسي شيطاني!
- إن الصروح التي أسرفت في بنائها قسطا من عمري تتهاوى الآن.
- وأنا لا أراها.
- إني أراها وحدي.
- وأين هي؟
- إنها في ذاتي.
- نرجسية أنت!
- بل فيلسوفة!
تهاتفني من خلف القناع ولا أراها. تتجول رفقة الدجى. تسامر جنوني حين أتطرف. أتقلد خطى أفلاطون في سموه وتقول فيحسبها الجالس جنبي موجا ليليا...

بين تضاريس الوجود أدرك هويتها وفي تجاويف السماء ألمح قدها الفاتن فتسحرني وتخلبني نكهته فأترنح وأذوب على زجاج النافذة الذي هو متكأ رأسي منذ حين لأراها تتراقص في بؤبؤي عيني وفوق أنوار "**تفرسيت**" المتموجة...
- فيم تتأمل؟
- في ذاتي. في هذا الخلق المنظوم.
تنتصب "**لونجا**"، يذكرني قوامها الممشوق بصيف الشاطئ. تتسلل نحو أحشائي لتحل في. أنحتها تمثالا وأرجو لمس راحتها البضة في الخفاء حتى لا تراني أو أراها!
لفحة من لفحات الخريف تفيض على مبسمها الفواح فأحدج فيها وجهي العبوس وهو يبسم، وطموحي المشروخ وهو يتألق. ثم تختفي وراء أسوار المبنى فينهار طموحي وألتقطه بسرعة فأكتشف أني الهائم من دون دليل.. فأزجر شخصي المذهول.
ما انفك الليل يضاجع أشيائي المقرورة ويشحن سكونه البارد في دمائي، تأتي "**لونجا**" من حيث لا أدري. تشدو في متاهتي الموشومة باليتم أهزوجتها السارية. تعزف على حفيف الأوراق. أضع نبضات قلبي على لحنها الشجي فأفيض نشاطا ويكون صحوا ويكون تماسا ويكون حلولا.
حين يتلاشى وجودك في الخفاء، أكسر قيثارتي التي بها أعزفك لحنا خالدا وأمزق فواصل السمفونية فألقي بذاتي في عين الصمت لأعلن عزلتي.
ترصدني عيون الليل في حيرة. ينهار فراغي ويغيض الأسى فأخجل من نفسي ويتمرآى وجهي على الزجاج فابتسم...
لما أدركت أن الرحلة قد انتهت وأننا على مشارف الوصول إلى بيوتنا الدافئة، انتصب، فأحذو حذو النازلين من الحافلة، نازلا من السماء إلى الأرض!

"أحلام طاميزودا(1)"

"بدون حلم ، وبدون حب ، وبدون حرية ، يستحيل أن نبدع ، بشكل جيد ، ويستحيل ، أن نستمتع بلذة الحياة ، ويستحيل أن نبني مجتمعا راقيا ، وأن نبني حضارة ، و أن يكون لوجودنا معنى .
أتساءل إن كان حكامنا ، يحلمون و يحبون وهم أحرار. إذن ، من هنا نبدأ."

- إدريس الصغير-

حتى بعد مرور كل هذه السنوات الطوال ، مازال يتذكر كل شيء، وبكل التفاصيل الدقيقة، زرقة سماء ذلك اليوم الربيعي، ونسمة أصيله الرقيقة، وعبق شذا أقحوانه الغض ، وزقزقة طيوره الجذلى، وهفهفة القلب الأخضر.

هكذا، ما أن التقت العين بالعين، حتى كان ما كان. تصاعد وجيب القلب وخفق الوجدان، وسرت القشعريرة، من قمة الرأس إلى أخمص القدمين. هل يكون سهم **كيوبيد** قد أصابك اليوم؟

قامة قصيرة، وعينان متوهجتان، وبسمة، تشع من الوجه الدائري، الذي تنسدل على جانبيه، خصلات شعر يتلاعب بها النسيم. هكذا رآها، جميلة في البهاء. هكذا رآها، تشبه « **رومي شنايدر**» في بسمتها.

نفس حمرة خجلها، نفس انكسار المقلتين، ودلال الكلمات المنبجسة، من بين الشفتين، القرمزيتين. ها هو ذا يهمس، بالمفردات الأولى، يقدم رجلا، ويؤخر أخرى، يتلعثم قليلا، يتحشرج الصوت في حلقه، تحمر وجنتاه، كلمات مرعوشة، تقابلها ابتسامة رضى و قبول.

هل تعلمين كم مضى من السنوات الآن، هل تدركين كم شهرا، وكم ليلة، و كم ساعة، وكم دقيقة؟ أين كل تلك العواطف الجياشة؟ أين الأشعار، والألحان، والسهاد، والشوق، والألم، والفرحة؟ أين المدى المنبسط المعشوشب الذي طالما تماسكنا باليدين لنجري على ثراه ، نسقط تارة ، وننهض أخرى تحت أشعة الشمس اللاهبة؟ أين البسمات؟ أين الفرح الطفولي ؟... أما زلت تذكرين طاميزودا؟

كانت اللقاءات هنالك، في خلوة عن العالم، عن كل العالم. بعيدا عن الحروب، وعن الدمار وعن الدسائس وعن كل المخلوقات. ترى لماذا اخترنا بالضبط. ذلك المكان. الم يكن الرومان يشقون عباب نهر سبو بسفنهم المحملة بالمؤونة ليرسوا بها في طاميزودا؟ الم يحبوا هنا؟ ألم يحترقوا بلظى الأشواق، و طول النأي، و المعاناة المؤلمة لهذا الحب الأزلي؟

أين أنت الآن ؟ الآن أرى جسدك مسجى على المحمل ، مغسولا ، بعطر الجنان . أراك محمولة فوق الأكتاف ، ليشق مسمعي ، العويل ، و الصرخات الرعناء . اليوم لا أملك سوى الذكرى ، اليوم أعود عند الغروب منكسرا ، أيمم نحو مدينة كئيبة تغفو مجهدة، لتنكمش على أحزانها الدائمة.

****

(1) طاميزودا : مدينة رومانية ، تقع على بعد عشرة كيلومترات من القنيطرة، على الضفة اليسرى لنهر سبو، غرب المغرب .

"إيقاع الدائرة"

" لم أكن اعرف أن موسم الحب هو موسم القتل نفسه"

- إسماعيل غزالي-

هامش أول:

إنهم ينقرون على البنادير .إنهم يوقظون الرعشة في صقيع الجبل. هاهو صدى الهجرات يزلزل صدر الليل. من قال أن الأطلس مبغى. تسلل إلي صدح الأحيدوس فطوحت بي رياح الشجن. ليتني أبكي أو أصرخ حتى الجنون. ذلك هو نداء التين الأسود في عرائش الكروم المنسية. يسبقني دمي إلى البيادر. يضيء زهر الدفلى ذلك الغضب الملتبس. المح الأثداء المهجورة تتنافر في سماء الإنشاد. خيط الأجساد المتراقصة يتحول إلى دائرة. ما أبهاها جذبة تتجدد فيها المرايا. تطوف فيها الولدان بالأقداح الخفية. من قال أن الأحيدوس فوضى من قال أن الفوضى عبث من قال ان العبث خارج المعنى ليرتم في إيقاع الدائرة وليلفعه الحنين إلى الغابة .

لما سُمِحَ لي أن ألج دائرة الأحيدوس وجدتني مقذوفا لتوي في ذاكرة ازغار الطفولية. كان وشم تلك المرأة ما فتئ على غابة الحب البربري. كيف طغى علي سؤال القتل والقتلة ربما كان ينبوع العشق البدوي...

طفلا كنت مع الكلب بلاك نرتاد الأحراش والأودية والأخاديد .نضرمها صيحات كي يرفرف الحجل أو تتقافز الأرانب الوحشية البهية .أو تحلق أسراب الحمام البري .البندقية تتراقص على كتف الرجل ذي اللباس العسكري الذي هو أبي .ما كان يهم ان يكون الصيد يمامة أو حجلة أو ثعلبا أو حتى خنزيرا. المهم هو متعة القتل .خيط المتعة يصطخب والرصاصة تخترق جمجمة الهدف .صدر يمامة أو دماغ أرنب .وهكذا اتفق لي أن أتلطخ بدم الحجل واليمام .أتسلق أشجار ساسنو. جيب يمتلئ بحب الغاز وجيب بالنبق وجيب بالبلوط وجيب رابع مثقوب .وفي الفصل الدراسي أقيم وليمة الإغراء .اقتنص غوايات الصبيات وخدودهن تتضرج بدم الرغبات المشتهاة .كم نقشت أسمائهن على صخور جبال أحطاب والحمام والصابرة وتاقة اشيعان وازغار .قبل أن اعرف الصبية البدوية شامة .حدث ذلك ذات يوم خريفي على سفح جبل ونحن نصادف خيمة في عمق الوادي فأمرني الرجل ذو اللباس العسكري الذي هو أبي:

-امنحهم طوبة سكر وحفنة شاي كي يعدو ا لنا برادا.

قبل أن أخطو الخطوة الأولى نحو الخيمة .ما عرفت أنني أخطو أولى خطواتي نحو الوشم الدموي الذي سيحفر ذاكرتي ما حييت .ركضت بنزق اخترق أشجار السنديان. شمت الكلاب رائحتي عن بعد فنبحت نباحا سمع صداه في كل أعماق الوادي .أصابني ذعر لما تناهى إلى مسمعي حفيف أقدام. رأيت أغناما وماعزا تتسلق الجبل .من دغل النبات الشائك لاح جسد صبية بدوية. يبدو أنها راعية تحمل عصا. ارتبكت عندما اصطدمت نظراتنا. حاولت أن تختفي وترددت ثم عدلت من فولارها المزركش وشوشت العصا عليها عقد أطراف الفولار. اضطربت أمازيغيتي وأنا اطلب منها أن تعد لنا برادا. صخبت ضكاتها وسمع لرنينها صدح شق منطقة مجهولة بداخلي وانساب فيها. هرولت وهي تلتفت بين الوقفة والأخرى إلى أن بلغت الخيمة .احتد النباح والعواء وسمعتها تلاعن الكلاب وترميهم بحجارة من سجيل. أمها كانت تعد البراد في الداخل وهي انتصبت على عتبة الخيمة ترنو الى الكيس الذي احمله على ظهري. التقطت برتقالة وعلبة سردين. أقسمت أن اهديهما لها ولو كان الثمن صفعة من صفعات صاحب البندقية .بعد لحظة منحتني البراد ومنحتها البرتقالة وعلبة السردين وما استطعنا ان نتجاوز ذلك الحد. تمنيت لو تطول وليمة الغذاء تلك

.كانت الراعية الحالمة وقتئذ على قمة الجبل ونحن في سفحه .عندما هم ذو اللباس العسكري بمواصلة رحلة الصيد أوهمته باني اتبعه. تخلفت وراءه إلى أن بلغت قمة الجبل وهناك سألتني عن اسمي ومدينتي .عن اللعب والمدرسة وكل ما احتفظت به هو اسمها الغريب شامة .سمعنا صوت رصاصة في آخر الوادي وكان إيذانا بفراق ما .علي أن أتعقب صاحب البندقية بينما ضوء السنديان في وجهها يطالبني ببعض اللحظات .تتحول اللحظات إلى ساعات من الصمت. صمت ملغوم عتيق يفصل الطلقات بين رعب الرصاص والرعب الذي يحدثه ذو اللباس العسكري في نفسي. رأيت أغنامها وماعزها قد تشردت فقلت مرغما:

-علي أن ارحل سيقتلني إن لم يجدني وراءه .

ألصقت جسدها بسنديانة وأزهرت بالرغبة. منحتها برتقالة إضافية وركضت في الطريق الملتوية المعشوشبة. ضمت البرتقالة إلى صدرها العصفوري أو هكذا تخيلت ودندنت بأغنية أمازيغية. في كل بقعة جرداء كنت أتوقف وألوح بيدي بينما تقف هي على الصخرة تضع كفها على حاجبها كي تمنع عنها الشمس .

فيما بعد صارت كل أيام الآحاد بمثابة لعبة انتظرها على أحر من الجمر وكان الأولاد في المدينة يلعنوني في الفريق الكروي الذي أنا صانع أمجاده .ما عرفوا أن المجد تصنعه جبال ازغار وعندما كان ذو اللباس يغير الوجهة إلى غابة أخرى يعمني حداد وحزن أعمى. العنه والعن أفكاره التي لا تنتصر لقلبي. تواصلت لعبة الحب وتعمقت لما انضم إليها الكلب بلاك هكذا تمردنا على صاحب البندقية وسار كل منا في طريقه. على قمة جبل اقتنص القبلات والمداعبات وفي عمق الوادي تصفعني يد صاحب البندقية إلى أن شرخ الحكاية حدثان دمويان .الحدث الأول كان موت الكلب بلاك وقد داهمته أنثى خنزير كانت تركض باتجاهنا أنا وشامة. في سماء الوادي ترددت آخر صيحة الكلب. وهو يتلقى طعنة قاتلة. انتفض ذو اللباس العسكري وجن جنونه. اقتفى آثار أنثى الخنزير وزرع رصاصاته في رأسها ثم تركها تتدحرج في أخدود مضرجة بالدماء .بكيت أنا وشامة. وما أسعفنا البكاء .أول مرة أرى فيها دمعة صاحب البندقية الذي هو أبي اقسم أن يدفن الكلب على قمة الجبل .ما كنت اعرف ان موسم الحب هو موسم القتل. موسم القتل الذي سيشرخ ذاكرة ازغار .ما كنت اعرف انه الثار وان للخنازير قلوبا آدمية فتحول ازغار العذري إلى خرافة سوداء حين وشمني النهار في المدينة بالقاتل وما عرفوا أني المقتول. على تلك الصخرة دائما تبادلنا الحب بمحاذاة قبر الكلب .ثم حدث شيء رهيب فيما بعد .كان صاحب البندقية بعيدا يطارد أسراب الحجل بينما داهمنا ذكر الخنزير على الصخرة واصطفى جسد شامة. رأيت دمها يندلق مثل نافورة. حاولت أن استنفره كي تكتمل وليمة القتل. لمعت عينه بغدر وسخرية ثم رحل في اختلاج السنديان. كان صداه يبتعد وينأى .كان صدى انتشاء وانتصار. هل كان ثارا كيف لي أن اكذب ذلك النعي الأسطوري وأنا صاحبه وشاهده الوحيد. كان وجيب قلبها عالقا بي وأنا احملها على كتفي ثم توقف نبضها وأنا اطرحها على الطريق .حملتنا شاحنة وانتهى كل شيء في المستشفى..)

<u>هامش ثان:</u>

ها أنذا أطرز نسغ الذكرى في وشم تلك المرآة الراقصة. اصطدم بما كشفته ردهات العشق المأساوي عن الذي تحقق والذي ضاع وانفلت. عن الذي أبهج المخيلة وأيقظ الماء العميق في بئر الكلمة. وعن الذي هدم الحلم والمعنى والإنسان. هاهي الأجساد المختلطة في الأحيدوس توهمنا بالرحيل في الضوء والظل .

ما يزالون ينقرون على البنادير. كأنهم يقولون لرصيف الحب في المدينة ليغطك الزفت. كان الرقصة لبست معطف النسيان. كان النسيان لفع الوجوه واصبغها بهاء الفناء .كان الفناء صدى القرون الغابرة...

ترامى الصدح في كل أرجاء البلدة وسمعت صدى الأموات في الشوارع الصفراء. الأحيدوس خميرة البدايات .صراخ الأمطار والحصاد والحب البدوي .عواء الذئاب ليلة اكتمال البدر. نباح الكلب في ليل الجوع والموت والقتل. مواء القطط تحت ندى الصقيع المتهاطل على الحيطان المهدمة. ضوء السنديان المتعالي وهو يختلج في بسمة شامة.

"قُبُلَات"

" إذا كان الحب أوله هزل و آخره جد ،كما يقول ابن حزم ،فإن في المسافة بين الهزل و الجد تكمن دلالة وجوهر الحب بكل معانيه و أبعاده .

فالحب مفهوم يتجاوز التصنيفات و المعاني، فهو زئبقي لا يرى إلا لمن تمرس و تفاعل مع ذاته و الآخرين. فالحب يرتبط وفق أشكال مختلفة بأخواته و أحفاده من المعاني الدالة عن الهوى و الهيام و العشق ،كما ينفرد بخاصية التعدد و الاختلاف، ففيه عدة ألوان كالحب العذري الأفلاطوني ...

الحب بعيد عن التنميط والقوالب ، فهو حاضر بذاته في كل مكان و زمان و يحمل سر الاتصال والانفصال بين الكائنات الحية .

الحب لا يرتبط بحسن الجسد أو أطيافه أو بكلام ملطف أو بغراميات معينة. الحب له علاماته التي يحملها المدمن والعاقل والمتعقل للشهوة والمتلذذ والحربائي وغيره.

الحب هجرة وترحال من مكان إلى آخر ، فهو بعيد عن مناطق الظل أو الوقفات وإن تحققت الوقفة، فسيكون صاحبها الراحل بين فضاءات الحب ،يقف وقفة محارب. الحب يجمع كل الثنائيات المستعصية عن الفهم.

الحب يرتبط بتجارب الناس و أحوالهم وعلاقاتهم المنطوية على ألف سؤال و سؤال والبعيدة عن لحظات اليقظة و النوم ، وعن ثنائية الليل والنهار وعن لعنة الوصف وحب المخاطرة بالنظرات.

- محمد نبيل-

كانت عائشة لا تتركني أتنفس, تخنقني, ترافقني كل يوم إلى المدرسة, وعند عودتي، تنتظر الوقت الذي أتخلص فيه من يدي أبي الغليظتين لتنقض علي كما يفعل الكلاب. تقبلني بحرارة, تمتص شفتيّ وتشد فمي كما تشد كيسا من الحليب, كانت دائما تقول لي: أكرهك لكنني أحب فمك الوردي حتى الجنون !

عندما يكون المعلم عائما في شرح الدرس داخل الفصل تنزل علي بوابل من الأسئلة الغبية: هل تستعمل أحمر الشفاه ؟هل تختلس علبة ماكياج أمك ؟ أجيبها بسخرية لاذعة: أمي لا تستعمل إلا" السواك البلدي"* و تجهل حتى كيفية وضع أحمر الشفاه على شفتيها. عائشة تتربص بي، لا تريد أن أتكلم مع زميلات أخريات في فترة الاستراحة; لا تغار إلا على فمي، أما بقية جسدي فإلى الجحيم. ترغب في الاستفراد بي, كم ألعنها عندما تقبلني خلسة أو تغرس أسنانها في لساني الذي يظل يؤلمني لأسابيع, تعرف جيدا أنني لا أستطيع أن أرفض عروضها الشاذة لأنها

تغريني بالكتب الصفراء والأوراق البالية التي تسرقها من حانوت أبيها. كنت مدمنا على قراءة كل علامات التاريخ القديم وشم رائحتها، التي أعتبرها كنزا آيلا إلى الاندثار، لذلك كنت أغتنم الفرصة, في كثير من المرات كنت أضعها تحت إبطي أو فوق صدري كي تظل رائحتها ملتصقة بي، ترافقني كل صباح .

ذات مساء، خرجنا من الفصل كالثيران عندما يخلصها صاحبها من الإسطبل, صفعتني عائشة لأنني اتجهت بسرعة صوب أبي الذي ينتظرني أمام باب المدرسة, تركتها وحيدة، هائمة وكفتاة جائعة, عيناها جاحظتان، لعابها يسيل كدموع الفرح, تنظر إلي برأفة وكأنني مختطف أو أسير حرب .

حملت حقيبتي المرقعة وأمسكت بيد أبي, تركت ورائي عائشة كاليتيمة, وأنا أمشي على قارعة الطريق أحسست وكأن ساقي عائشة تطاردانني, صوت جسدها الثقيل يهزّ الأرض من تحت قدميّ. خوف مريع يسكنني ولا أقوى على الالتفات ورائي حتى لا ينكشف أمري. أريد رؤية لسانها عند ما تمسح به أنفها الأفطس, كنت ضحية مجيء أبي الذي لا يريد أن يمسني أحد بسوء, قصدت البيت وحدي بعدما تركني أمام مقر عمله, كان يريد أن يختبر قدرتي على تحمل المسؤولية في التعرف على البيت بدون أن أضيع بين الدروب , فجأة أتت عائشة كالملاك , وقفت أمامي وقالت لي بنبرة رجولية: لماذا لم تختبىء حتى لا يراك أبوك ؟ لقد فوتت علي فرصة تقبيلك اليوم. أنت حمار وسوف ترى ماذا سأفعل. أعرف أنها ستحرمني من الأوراق والكتب البالية التي تأتي بها كل صباح, أجبتها كمتهم يستعطف قاضيا: لا بأس يا عائشة، قبلات اليوم لن تطيل عمرك أو تزيدك جمالا" وقت ما جاء الخير ينفع"*

ردت علي صائحة: اسكت, أنت لا تعرف شيئا, أنا الذي أقبلك ولست أنت, أنا الذي أعرف قيمة شفتيك عندما ألامس تجاعيد فمك, قلت لها باستغراب: إنه جسدي و أنا أعرفه وأحس به. غضبت وردت علي بعنف: أنت تقدم لي فمك فقط وأنا من يفعل كل شيء, أنت لا تساوي شيئا بدون هذا الفم المعسول .

كانت ملحة على أن أعوضها عن قبلات اليوم الضائعة وكأنها تطلب أجرا عن عمل قامت به من أجلي. وضعت يدي على ظهرها الأملس وقلت لها في هدوء طفولي : غدا سيطلع نهارك وسأتركك تفترسين فمي كما تشائين. غمرني إحساس غريب وكأنني أصبحت عبدا لا حق لي في شيء, أقدم فمي لعائشة تفعل به ما تشاء, بدون أي شرط, قد تعضني أو تمتص ما بقي لي من رحيق دون أن أرفض. سرعان ما أقول: إنها عبودية جميلة ورائعة ما دامت تجلب لي كتبا وأوراقا نفيسة. و أمام تلك المطمورة الموجودة قرب بيتنا فتحت فاها مبتسمة وكأنها راضية بما أقول, أما أنا فبدأت أتقزز من ابتزازها لي بهذه الطريقة العرجاء, فمي لا يجلب لي إلا المصائب والغرائب, خير لي أن أقطعه بدل هذه المعارك الجسدية .

في الغد ،لم تأت عائشة إلى المدرسة. أحسست بحزن وشوق كبير وكأنني أدخل عالم الهوى لأول مرة, لم أكن حاضرا سوى بجسدي داخل القسم, كنت سارحا ولا أسمع ما يقوله المعلم وهو يفسر بعض الكلمات المتلاصقة على السبورة. طلب مني أن أصف ما يوجد داخل الصورة التي تتوسط السبورة, قلت مسترسلا و بسرعة: إنها صورة امرأة جميلة، شفتاها تشبهان الهلال...لم أكمل الجملة حتى نزلت على رأسي عصا المعلم كالصاعقة. بعدها هوت علي يداه بالضرب, سقطت على الأرض, لم أكن أعرف أنني كنت أصف عائشة بدلا من الصور المعلقة وهي لحيوان صغير مكتوب عليها بالأحمر قرد. لم أكن أفرق بين القرد الصغير و عائشة التي منعها أبوها من القدوم إلى

المدرسة. أحد زملائي كان حسودا ولا يريد أن تمارس عائشة معي هذه الحماقات. قرر أن ينتقم منا وكشف المستور لأبيها الذي أقسم أن لا تطرق عائشة باب التعلم .

منذ ذلك اليوم الملعون رفضت أن أقبل كل الفتيات والنساء لأن القبلة التي وراءها ضياع امرأة، تعد قبلة خاسرة.

*****

***البلدي**: التقليدي

***مثل مغربي**

"حبيبة الشات"

"قال :

– "ها أنا ذا أعثر، أخيرا، على الفتاة التي كنت أحلم بها و أتمنى الاقتران بها..."

قالت:

–"هذا هو الفتى الذي كنت أحلم به، و أتمنى الاقتران به..."

و وصلا إلى مدى لم يعودا يستطيعان فيه الاستغناء عن بعضهما البعض...

و شرعا في التحدث عن الخطوبة و الزواج...

و ذات "شات"، قالت له:

–" أنا قادمة إليك."

- عبد الحميد الغرباوي-

تساءلت، و هي تهيئ نفسها للقاء المرتقب...

و تساءل، و هو يفكر في أول كلمة ستخطر على باله و ينطق بها في حضرتها...

(كيف يمكن لاثنين يبعدان عن بعضهما البعض مسافات أن يخفق قلباهما حبا و هياما بالآخر، فقط عن طريق " الشات"؟...)

و أرجع كل واحد منهما ذلك إلى المكتوب...

* * *

هو عانى من علاقة سابقة لم يكتب لها النجاح ...

و هي لا تنتظر سوى اللحظة التي يعلن فيها من هجرها الطلاق ...

و قرر، كل واحد منهما، في لحظة من اللحظات، أن يحتفظ بسر علاقته القديمة بين تجاويف قلبه ..

و أن لا يبوح بها للآخر، و أن ينتحل اسما آخر غير اسمه، ...

و لو إلى حين ...

(كي يكتب للعلاقة الجديدة النجاح؟...

ربما..

و ربما لنسيان ما مضى...
فما مضى، كان حزينا، مملا، رتيبا، و من الأفضل أن يطمر و يدفن إلى الأبد....)
اختارت لها اسم سلوى،...
و عن طريق" الشات"، قدمت نفسها:
مثقفة... متدينة... و جميلة، تهوى المطالعة......
اختار له اسم فؤاد،
و عن طريق " الشات" قدم نفسه:
مثقف، متدين، وسيم، و يهوى هو الآخر المطالعة...
و استمرا "يتشاطيان" محلقين في الأحلام الوردية.
قال :
"ها أنا ذا أعثر، أخيرا، على الفتاة التي كنت أحلم بها و أتمنى الاقتران بها..."
قالت:
" هذا هو الفتى الذي كنت أحلم به، و أتمنى الاقتران به..."
و وصلا إلى مدى لم يعودا يستطيعان فيه الاستغناء عن بعضهما البعض...
و شرعا في التحدث عن الخطوبة و الزواج...
و ذات "شات"، قالت له:
" أنا قادمة إليك..."
و تواعدا على أن يلتقيا في ساحة عامة تتوسطها نافورة كبيرة، يحج إليها زوار المدينة بكثرة لمشاهدة خطوط المياه الملونة و هي تنطلق عاليا مصحوبة بموسيقى أشهر الأغاني العربية....
أخبرته أنها ستكون مرتدية معطفا أسود على فستان أزرق...
و أخبرها أنه سيكون مرتديا كنزة صوف بيضاء وسروال جينز ...
و جاء اليوم الذي طالما انتظراه بشوق....
كانت تقف قريبا من النافورة متأملة خيوط مائها الملونة، تصعد في دفعات قوية إلى الأعلى و تنزل سريعا مستسلمة للجاذبية، لتعاود الصعود فالنزول على أنغام موسيقى أغنية" لسه فاكر"...
كانت تعطي بظهرها للخلق، كما لو كانت تخفي وجهها عن أنظار زوار الساحة...
و أقبل....
الفستان الأزرق، و المعطف الأسود...
تلك هي حبيبته...
اقترب منها، و بصوت مرتعش :..
"سلوى ..."
و ما كانت لتستجيب للنداء، لو لم تتذكر أن سلوى اسمها الجديد ..
استدارت ...

و لما ..

لم يكن سوى، ...

ذاك الذي هجرها و تنتظر منه، في أية لحظة، إعلان الطلاق...

"قصة حب"

"الحبُّ نَوْرَسٌ يَخْفقُ فِي القَلبِ يُكَابِدُ الجوَى
ألا لَيتهُ يُعَانقُ مَوْجَ الأمَارَةْ
فمَنْ لهُ إذَا انْبلجَ فجْرٌ عَنْ لَيْلٍ
يَرشُّهُ بماءِ الزَّهْرِ".

- سعاد الناصر (أم سلمى)-

يتلألأ وجهه بالصفاء، تبرق عيناه بسعادة ومرح وهو يتطلع إلي بافتتان، نظراته تبعث في أعماقي دفئا وتدفقا، تتغلغل في ذاتي بقوة وعمق. أشعر أنني حتما في لحظات قادمة سأنفجر بشلال دافق يخترق عوالم ملوثة بالزيف والظلم، يطهرها، يعيد نسج تفاصيلها بكثير من الرقة والحنان. التقيته في السجن حين كنت أجري مقابلة صحفية مع مساجين الرأي، لفت نظري بهدوئه وابتسامته التي تضيء وجهه كله, وحين أبديت استعدادي لتوفير بعض الطلبات لهم في زيارة قادمة، لم يطلب سوى مجموعة من الكتب, اكتشفت بعد ذلك أنه مثلي يقرأ بنهم كبير, يحاول بفعل "اقرأ" إعادة تشكيل واقع انحرف عن مساره. وسقط في مستنقعات التخلف والتهميش, ومنذ ذلك اللقاء عرفت أن القدر مهد لاجتماعنا بعناية فائقة. وأن سلسلة من اللقاءات التي أتت بعد خروجه من السجن، كانت تشكل ملامح علاقة أكبر من مجرد تفاهم حول بعض القضايا السياسية، وأقوى من الاشتراك في الدفاع عن الحرية بمفهومها الشمولي الواسع. كنت قد خرجت لتوي من تجربة زواج فاشلة، عانيت فيها أقسى أنواع العبودية مع رجل كان كل همه أن يغتصب أنثاه كل ليلة، أعيش معه مشاعر امرأةٍ مسحوقةٍ يدوسُها متى شاء دون أي إحساس بالمشاركة، ويفترش جسدها وقتما أراد بأنانية وغلظة، يفرغ حاجته فيها سريعاً في الظلام على عجل دون أدنى تجاوب. كانت بذرات التمرد تنمو داخلي مع كل افتراش, أرعاها وأسقيها بماء العلم والمعرفة، إلى أن أصبحت أشجارا مزهرة بعبق التحرر, وبعد معاناة وإصرار استطعت الحصول على الطلاق، وفي النفس جرح ما ظننت أنه سيندمل يوما، وفي الجسد بصمات ما ظننت أنها ستُنسى في خضم رقة وود لا تستطيع لغات العالم وصفهما, وضع يديه على كتفي، ضمني إلى صدره برفق وأناة، كأنني زجاج من البللور الناعم يخشى عليه من التكسير. تساءل بانتشاء:

-"راضية عني حبيبتي؟"

_"كيف لا أرضى وقد علمتني كيف أن الحب يجعل روح المرء بلا حدود ، يستوعب القاصي والداني، وتندثر في ألقه الحدود والتقاليد، وأن التسامح فجر يلملم فيه العاشقون شتات عطاء، ينثرونه دون حساب "

-"ما أروع أن ينفتح الإنسان على مساحات الحب الشاسعة، حيث ترتع الأرواح في تآلف، ترشف معاني الوفاء رشفات لا تظمأ بعدها أبدا"

انغمست في بهائه وروعته، وفي حرارة صدق كلماته, تتكسر الأمواج تحت أقدامنا، نصغي لأروع الإيقاعات في سيمفونية الحياة, تشرق الشمس دافئة في سماء شديدة الصفاء، تعبرنا نسمات رقيقة ،يُحلِّق طائرُ النورس ُ على سطح البحر، ينقرُ الماء بسرعةٍ خاطفة ثمَّ يصعد بفريسته عنان السماء، يتمرغ نورس آخر على السطح ببطء, ألقي برأسي على كتفه، أتأمل لحظات منفلتة من هذا الزمان القارس، أدرك أن الإنسان يستطيع أن يؤثث الواقع بحلم جميل, يحيله حقيقة يعيشها في كل ممارساته. ما كنت أدري أنني سأستطيع بداية حياة جميلة، تنبض بكل هذا الحب الرائع،

كنت أعتقد أن أي علاقة لا تخرج عن إطار تملك وامتلاك. في طفولتي، كانت أمي تمتلك أبي بعنف، ولم يجرؤ مطلقا على الخروج عن سيطرتها، أو إبداء أي رأي في حضورها، وحين حاول أن يبدي اعتراضه على زواجي الأول، ثارت بعنف، وظل شهرا كاملا يسترضيها، وهي تزداد إمعانا في صده، وصب جام غضبها عليه. لا أذكر أنني رأيتها إلا في حالات إصدار الأوامر، أو توزيع جمرات غضبها على الجميع، مع تخصيص والذي بحصص أكثر توهجا. كانت نفسي تنقبض كلما بدأت مواويلها الغاضبة، وأنزوي أنا وإخوتي في ركن الغرفة، نرتجف من الخوف، لأنها غالبا ما كانت تنهي صراخها بعلقة ساخنة لأحدنا، ثم تنخرط في بكاء طويل يتخلله رثاء لنفسها وضياع أيامها. وحين مات والذي ذات ليلة ممطرة، انهارت، انزوت داخل قوقعة من الصمت، وكأنها ما كانت تبدي ذلك العنف والقوة إلا لمواجهته. ولما لمست سوء حكمها على زوجي، ومعاناتي معه، لم تستطع الصمود، واستسلمت لنوبات قلبية، أسلمت على إثرها الروح، وتركتنا نتخبط في خطوات متأرجحة.

لاحظ ارتجافي من عنف ذكريات لم تشأ أن تطفو إلا في أشد الأوقات سعادة، وكأنها تضن علينا بها. دثرني بذراعيه، طوقني بأنفاسه العطرة، وفي صبر وأناة ارتشف دموعي، حاول إبعاد أي قلق عني. قال:

-"اطرح كل زبد على هذا الشاطئ الممتد، واحضن ما ينفع في رحلة الحب والبناء، وطهره بماء هذا البحر".

استسلمت لحنانه، وامتدت الذكرى لتشمل طلبه ليدي وهو في السجن، كنت بدأت أدرك تدفق مشاعره وانسيابها في جداول تسقي كل من يعرفه، كما كنت قد لمست صدقه واندفاعه في ممارسة ما يعتقده حقا وصدقا، إلا أنني ما كنت أعرف أنه قد يصبح في أبهى حالات الجنون إلا بعد أن صارحني بحبه وسط صراخ المسجونين وأهاليهم، وانتزع مني اعترافا بحبه من خلف الأسلاك الفاصلة بيننا. ما كنت أعتقد أنه سيخرج قريبا من سجنه، لتصميمه على عدم الرجوع عن أفكاره، واستعداده لمناقشتها وليس لمصادرتها، حتى تفاجأت بموجة كرم سياسي، أطلق على إثرها أغلب مسجوني الرأي. وبدأت أولى خطواتي في عالمه المليء بالحب والعطاء بدون حدود. تعلمت أن أرشف رحيقهما وأحوله إلى أنهار جارية، يتطهر فيها كل من أراد الحياة. كنا جالسين خارج الخيمة، تمتد نظراتنا نحو آفاق بعيدة تأسر القلب بعمقها وكثافتها، تريح النفس من لهيب واقع متأزم. منذ أن بدأنا نخطط للزواج، أعلنت عن رغبتي في أن أقضي أولى لحظات العمر معه في خيمة صغيرة على شاطئ البحر، نطرح وراءنا كل أثر من آثار الظلم والزيف والتصنع الممقوت الذي استولى على العالم ، فأصبح لا يحيى إلا على أشتات المظلومين واستغلالهم، وبمباركة المزيفين والمتصنعين. وأعلن هو أن يكون توحدنا الكامل قرب البحر، بعد أن ارتقت الروحان في مقامات العشق، والتحمت آمالنا وأحلامنا وتطلعاتنا في بوتقة واحدة.

ومثل زهرة في مهب الريح ارتعشت أغصاني وغاصت في كونه الناري. وغدوت سوسنة تسكن ومضات طيف مشرق، ترشف بين الومضة والومضة زلال فيض ملائكي الإيقاع..

"هواجس حب"

طارق أنا خمارتي	**هل لي بدارك مستقر**
قد طال وجدي فارفعي	**عني دجى هذا السحر**
إني لذو شوق لها	**كشوق الأعمى للبصر**
فالحب مرفأ مهول	**يصعب على من به ضرر**

عن قصيدته "خمارتي"

- محمد التطواني-

مدة طويلة وأنا أمشي خلف قوامها الممشوق بعين لا تغفل، وبدون قنوط. لا أحادثها ولا أستطيع حتى أن أواجهها كما أواجه المرأة كل صباح.

كان هذا قدري عندما بدأت أعلم كيف اتبع خطوات البنات... ألاطفها كما كما ألاطف الدمى.

لو كان والدها عرض علي هذا العمل بالمقابل لرفضته،أتبعها حين تخرج من منزلها صباحا إلى أن تختفي وسط ازدحام الطالبات بداخل بهو المعهد.وهكذا بعد الزوال.

لا أعرف كم مر من الوقت وأنا أهوى هذا النوع من الحماقة. لم تكن جميلة الخلقة لتستحق هذه التضحية.تشغلني حتى في أوقاتي الخاصة.كانت عادية.ربما كانت تحتفظ بحسنها من تحت جلبابها.وجهها يحمل ألف سحابة.تجري بداخلها سواق من الغضب والحيرة،وأحيانا تشرق الشمس على وجنتيها وتنتعش الابتسامة،وتصدح الآهات.وغالبا ما تنبثق شرارات من مقلتيها لو رأيتها لوليت هاربا.

تحملت هذا كله وهي لا تبالي. ربما كانت تشعر بي حسب سلوكها وغريزتها الأنثوية... ربما كانت تنتحر ألف مرة أكثر مني في اليوم.لا أعرف إن كانت صورتي قد أعجبتها كم كانت تستهويني صورتها !

لم أكن جميلا، كذلك.قامتي كانت متوسطة الطول، ولما كنت أتأبط الكتب المدرسية أبدو كالكهل.عيوبي كنت أعرفها، لأنها لاصقة بي وبحركاتي .وأنا مقتنع بها ولا تضايقني.

حسبتها أنانية، تفضل أن تمشي وسط زميلاتها وتحتمي بهن مخافة أن أحملها من عتبة إلى عتبة. كل زميلاتها كن يحملن لي أخبارها دون أن تشعر هي أو العكس، يتغامزن معي، ويوزعن ابتسامهن ونظراتهن.ما عدا هي بخلها كان متعمدا ربما. ورغم ذلك كنت أقرب الناس إليها من قميصها وجواربها. أحمل صورتها في جيبي، أعطتني إياها إحدى صديقاتها وطلبت مني أن لا أخبر أحدا عنها. قد تكون المسألة لعبة بينهن.

أذكر يوما طلبت من مدير المعهد أن يخصص لنا نحن الطلبة زاوية على جدران المعهد لنستغلها في نشاطاتنا المدرسية،وبدأت ، أنا وبعض الراغبين، في مشروع كتابة المجلة الحائطية.

وكانت فرصة لأكتب نصا، نشرت فيه غسيلنا، ولم أحسب أنه سيخلق لي بعض المتاعب. لم ترضها جرأتي.لكن الطريقة التي استقبل الطلبة بها النص (واحسرتاه!)كانت كافية لتنتبه لما هو حولها.

ازداد غضبها، وكبرت أنانيتها، وأنا مصر أن أحمل نفسي تعب المشي خلفها.لقد تسللت بعض الآهات داخل جواربها، ستحملها للتفكير والمعاناة مثلي.لا يهم إن كانت سلبية.حتما أنها ستدفعها للالتفاتة جهتي لتكشف عن صورتي

عساها أن تحضرني أمام مقلتيها حين تلجأ إلى فراشها.. وهو أهم ما كنت أتمناه.أن أتسلل غرفة نومها المغلقة النوافذ على الدوام،ونطالع دروس الغد معا.

بقي الأمل يكبر.متناسيا أنانيتها.لم اكتب لها رسائل الغرام حتى لا اضعف أمامها.كنت أعرف أنها ستمزقها أمام زميلاتها لتكبر في نظرهن, وعندما تنفرد بنفسها ستندم على الأنيس.

خلال أيام العطل كان جسدي يموت من كثرة لهفتي عليها. يكفيني أن امشي من ورائها.لم يعد يهمني رضاها،قدر ما كان يهمني أن اشغل أوقاتي بها،من يومها لم يجرؤ طالب على ملاحقتها.أضحت ملكي بدون وثيقة عدول.

يسألونني ماذا أعشق فيها؟هل هو صمتها...شكلها...حشمتها...قوة صبرها على طأطأة رأسها؟ فأجيبهم: كل هذا كاف لإقناع رغبتي فيها.لم أطمع في أكثر من ذلك.

كنت شديد الحساسية اتجاه المرأة. ابتدأ هيجاني بسرعة فائقة، لكن ليس لحد الدناءة...

عيرتني أختها ذات يوم هددتني إن لم أتوقف عن هبالتي فإنها ستحمل خبري ووقاحتي إلى إدارة المعهد وإلى والدها.

ضحكت في وجهها وسخرت منها، كنت أعرف أنها ليست أكثر من أختها أدبا واحتراما،لو صبت علي وبالها ستكون هي الخاسرة. مرارا شاهدتها بين الأسوار المقفرة مع مختلف الوجوه.يعجبها الجديد.مغرورة بجمالها وبياض بشرتها،مما جعلها سلعة مقبولة لدى الناظرين.

قبل أن أعرف أنها أخت ملهمتي(...)كانت تكرهها حساسيتي لميوعة أنانيتها. عرفتها وهي في بداية المشوار.حين كانت تتعلم أساليب المراهقة بطرق شتى،مرة بالكلام،ومرة بالغمز والمواعيد قبل صلاة العشاء.

تركت أختها وعنادها،ومضيت أشق طريقي خلف ملهمتي كالعادة.كل يوم تجمعنا أسوار المعهد وتفرقنا جدران الأقسام الدراسية،وفي سلم المعهد ونحن في طريقنا إلى ساحة الاستراحة تحتك أجسادنا ببعض لكن بدون إحساس.

شعرت بضيق من جهتها حين بدأت تحرض بعض زميلاتها علي، وعندما تيقن أني من النوع الوديع الذي لا يهزم استسلمن كلهن وطمعن في مصاحبتي.وبدأت مرحلة الاحترام المتبادل، مما دفعني أن أتصرف بجدية معهن.بدان يتراشقن في أوقات الفراغ بكرة المضرب أو يتخذن كرة السلة للتسلية،إلا هي كانت لا تتحرك.تعانق سارية ولا تشاركني في حديث إلا قليلا.

يحدث هذا وأنا لا أبالي، رغم ما كان ينهش ذاتي من فوضى الحرارة التي تصيب الشباب في سن المراهقة.

كانت تبدو أكثر من سنها .مقطبة الملامح، تفضل العزلة وكأنها في جدال مع نفسها.وكم حاولت أن اختلس وحدتها، لأرمي لها بتحية واهديها كتابا.دائما منشغلة بحالها فتنكسر أحلامي.تمثال لا يرى نفسه،لكنه مخلوق.

حملتني متاعب كثيرة. ...فكرت ذات يوم أن اسألها إن كانت تعرف بذرة الحب لأعينها على تلقيحها.حاولت أن أعرف إلى أين يمضي خيالها حين تستيقظ من منامها.والقافلة طويلة، وأنا اقلب على اليأس.

أقبل الربيع ومضى الدفء يدخل زوايا معهدنا، يشجعنا على الهرب لنفترش بساط الربيع.نشكل حلقات طلابية فأختار أنا الحلقة التي تكون بالقرب من جهتها.أرقبها،افحص ملامحها،أتابع ابتساماتها واخبرها أني متشبث بحالها رغم إعراضها عني.لأقول لها إنني من ثوبها وهي كذلك.قد تكون العوائق المادية بيني وبينها ظالمة.يلعب الفقر والغنى لعبته المسمومة كما يشاء.لكن التقارب والعامل البشري بيننا متواجد،شاءت أم أبت.لن ينفعها غرورها، لن يجديها انسحابها من عالمي بغية خفض درجة حرارتي..سأسلط عليها ثقلي وهمومي وحيرتي لتخبرها من أنا.وتطرد فظاظتها لاشك أنها تملك خريطتي، وتتبع خطواتي من خلال زميلاتها.قد تبدو هادئة غير مهتمة بما حولها.وقد يكون العكس.فلماذا لا تراني أنا بالذات؟.

مرة أخرى عزمت أن أحمل زميلاتها المسؤولية، فكلهن يردن خدمتي. كتبت خطابا مطولا. واستعملت لغتي اللبقة فيه وختمته بكلمات محملة بالعطر والاحترام.سررت حين سلمت الخطاب إلى إحدى زميلاتها وهي بدورها طمأنتني.كان قوامها وشكلها مشجعين،وحركاتها رياضية عنيدة.على وجهها بشاشة عالقة لا تغرب.كنت أعرف أنها ستسلمها الخطاب، وسترغمها على قراءته.

غيرت برنامجي ذلك اليوم مخترقا الطريق الأقرب إلى منزلي دون أن أعترض طريقها لأسباب عدة.

أعطيتها مدة تراجع خلالها "لماذا أنفها مهزوز إلى السماء" و"لماذا تحاول دائما إحباطي"وأخذت أنا وقتا كافيا لاستعد فيه للامتحان الذي لم يبق على قدومه سوى بضعة أيام من صيف 1967.

بدأت أدخل غرفتي باكرا وأغلق النوافذ، وافترش كتبي إلى أن يداهمني النوم.كانت الامتحانات عسيرة،مثل حالتي.لم يكن من السهل أن تتصاحب أو تتكلم مع فتاة إلا بعد أداء فريضة كاملة.وبتسليم رسالتي إليها شعرت أني أديت نصف الفريضة وبقي علي أن انجح في دراستي حتى لا أصغر في نظرها.

تعرفت على صديق يكبرني سنا،يختلف حبه عن حبي،أحب هو الكمان،وسرعان ما عرض علي الذهاب معه إلى بيته ليطلب مني أن اغني ليقوم هو بعملية التدريب على الكمان ومن خلاله تعرفت على الفنان عبد السلام عامر ،فأعجبت بشخصيته فأضفت له اسم (مكاوي)المغرب.

بدأت أرافقهما خارج المدينة في نزهتيهما، فيطلعنا عامر على بعض من أسرار حقيبته الفنية التي يطمح مستقبلا إنجازها،ثم يمضي (يدندن) حتى تختلط أصواتنا تحت نغمة واحدة.

فرص مثل هذه قليلة. خفت أن يعرف أبي وأخي الأكبر أني أذهب مع أناس أكبر مني سنا فكنت آخذ كل الحذر.

سافر عامر إلى الرباط يحمل معه أعماله الفنية لأول مرة ليقوم بتسجيلها في الإذاعة.وسافر صديقي البناء إلى تطوان ليعمل مع أحد الأجواق العصرية حاملا معه الكمان والطموح وبقيت أنا وشهادتي الثانوية أتطلع إلى المزيد من الدراسة، وهي غاية والذي وغايتي أنا كذلك.

مرت عطلة صيف 1967 .لم التق خلالها ملهمتي،رغم صغر المدينة وصيفها القائظ لم يكن من عادة سكانها أن يخرجوا واضحة النهار إلا ليلا . وأجمل ما كان في مدينتي لياليها الثقافية والترفيهية،يرجع الفضل إلى مثقفيها الذين تزخر بهم أرضها ربما كنا اقرب إلى الثقافة الأندلسية معرفة من سكانها الأصليين في هذا الزمان مما كان يجعل من أمسياتنا ولياليها حلقات شعر وندوات مختلفة.

كانت ليالينا سلسلة سمر متكررة تبعث على الحياة، وتتجدد خلالها اللقاءات الطلابية والطبقة الشغيلة ورجال التعليم والفن،وكل يشارك بما له من طاقات.ورغم هذا كنت أحيانا اشعر بالانكماش، فاذهب ابحث عن ذاتي بين زوايا بيتنا. لا اعرف كيف كان يتسلط علي هذا الشعور.

في ظهيرة يوم حار من آخر يوم من العطلة الصيفية، دخلت البيت قبل أن تغرب الشمس، فتحت النافذة لتتسرب بقايا خيوطها إلى غرفتي تفقدت جميع كتبي وأدواتي المدرسية واستلقيت على الفراش ريثما اسمع صوت أمي، قد تحتاجني لقضاء شيء ما.

وأنا في هذا الحال،ارتمي نظري خارج النافذة.اصطدم بإحدى الصديقات الملهمات وهي تلوح بيدها. لا شك أنها جاءت تبشرني.طلبت مني أن اصطحبها من بعيد.تبعتها بنفس شرهة.اخترقنا دكاكين وأزقة عديدة حتى اقبلنا على حومة هادئة.اتخذت مكانا بجوار (خربة) وبدأت أنتظر المفاجأة في غمرة من الأوهام والزفرات. صبرت رغم أني شديد الحساسية اكره هذا الاختلاس.

مرت دقائق اختفت خلالها،وبدأت المصابيح من فوق راسي المتهرئة تغازلني بأنوارها. سالت نفسي: هل أنا في مأمن؟

أحنيت راسي خجلا وخوفا.ماذا لو قابلني مشاغب بين هذه الخرائب النيئة؟ قاومت إلى حين أرى خاتمة هذه العنجهية.

لماذا لا تعصف بها الأعاصير كما عصفت بي، وتسكنها الكوابيس المتوهجة حتى تشعرها بصعقة الجفاف،وبرودة سكون الليل.

ترددت قليلا... ربما سترغب في معرفة الأيام العجاف التي مرت بيننا...لو تمكنت من مقابلتها ماذا سأقول لها؟ أنا لست على استعداد لألتقي بها وسط هذا الصمت إلا من صوت الصراصير.

ربما حلمت بي أو تخيلتني اشق رأسها بساطور،أو متأبطا ذراعها وأطاردها لأتمكن من الاستحمام على شفتيها.

تخيلتها قادمة .. نائمة تخيلتها تتفجر كساقية تحت قدمي ولذلك كان من المستحيل أن افقد صوابي قبل أن تحضر. سأواجهها بنفس النظرات والهيجان والزفرات.

حضرت وحدها بوجهها المستطيل الأسمر.تسللت من درب مظلم ببطء. ثم وقفت كغيمة حائرة ترقب الرياح.

لم يتغير شكلها الذي تعلمت فيه اختيار الألوان. جلباب رمادي فضفاض.. جسمها النحيل يختبئ باطمئنان... أحرف ملامحها الرشيقة لا زالت كما هي .

دنوت منها وكلماتي متعثرة قليلة.ربما أحسسنا، أنا وهي، بنشوة دافئة تدب في أحشائنا وبقي علينا أن نتعلم كيف (نخشخش) فيما بيننا ونرفرف مثل العصافير وننسج طريقنا بأيدينا ونستغني عن الأزرار التي تحركنا كالدمى.

اقتربنا..يؤنسنا مواء حناجر القطط اليتيمة.كبرت حيرتي. خفت أن لا يوجد بين أصابعها ما لا يشفي غليلي.

طفقت انظر إلى ملامحها ولم نترك وسيلة لنتقرب إلى بعضنا إلا وطرقناها. مددت لها أصابعي المرتعشة .دفنتها بين أصابعها نقرت بهمساتي نوافذ أحاسيسها فانتقيت من الكلمات ما يناسب همومنا،والتقيت الشفة بأختها إلى حد الجنون.

قبل غياب الشمس وبعد أن شربنا من كل أبجديات الحب أخبرتني بأنها مضطرة للعودة إلى البيت.. ذهبت مخلفة على جسدي دبابيس جارحة، وإيقاعات دافئة. وفي عيونها امتداد لشيء تهواه.

حزنت كثيرا على شهر حزيران الذي لم يحتفل معي بعيد الحب, وتأسفت على ما طوته الأيام. نسيت أني في مكان غير آمن وبدا لي أن أسرع الخطى.لم يكن هناك اختيار آخر.

أسندت رأسي على حائط غرفة نومي، وضجر أخبار المذياع تصف الغارات الإسرائيلية على فلسطين المشحونة بالويلات.شممت عبر صدفات الراديو رائحة الأبرياء منهم من قتل غدرا،ومنهم من ضحى بنفسه من اجل الآخرين ومن اجل الأرض.

بادرت والدتي إلى الراديو لتخفف من الضوضاء. عرفت أنها تتألم مثلي .. كان الخطيب يصيح بلغة البكاء تحت حرارة مفرطة. وهي تردد :لا حول ولا قوة إلا بالله.

أوشك الفجر أن ينجلي، وأنا لا زلت أخطط للأيام القادمة.

الآن لم يعد يزورني ذلك الصرصار المقلق بضخامة قامته.

مرت من السنة بضعة أشهر وعلاقتنا تتأرجح بين اضطراب نفساني ومواعيد منزلقة.لا ادري من دفعني إلى هذا النوع من الوجدان،ب رغم أنه ليس هناك ما يستحق هذا الوقت.كان من المفروض أن تكون هناك وسيلة مختصرة ، عوض الخوض في متاهات عاصفة.

أحيانا يسقط الإنسان في خندق بلا مبالاة،ولا يجد من يغيثه.حتى جسده يخونه في سلسلة من المداهمات واللقاءات، وتبادل البطاقات،أخذت علاقتنا نهجها المعتاد.بدأنا شيئا ما نستغني عن بعضنا .أنا امضي مع زملائي ساعة الاستراحة دون أن ألوي عنقي نحوها.وهي تمضي مع زميلاتها في وشوشات متواصلة.

وفي ظهر احد أيام الأسبوع،حانت مني التفاتة ناحية ملعب كرة السلة بعد خروجي من الدرس.كانت نظرة لم اقدر على (قضم) ما التقطته عيناي.أعدت النظر .. تلمست طريقي لأقترب أكثر من المشهد.. لم اصدق.وقفت تحت نخلة بدا سعفها يميل إلى الاصفرار.انتقلت إلى حائط من الطوب الأحمر عتيق من مخلفات المعسكر الاسباني.جبت جميع جوانب المكان ومازلت لم أصدق. إنها هي .كأني بين النوم واليقظة, بدت الدنيا أمامي معتمة.لأول مرة رايتها تلقي بجلبابها على الأرض وتكشف عن ذراعيها,ترتدي جاكيت أحمر وبنطلونا شفافا ابيض يلامس ركبتيها، وتجر صندلا لتقفز به وسط الذكور والإناث متحررة مما تعودت عليه.وترمي الكرة بشطارة فائقة، وكلما احتكت جسدها بزميل اقشعر بدني،وانقض وجهي. وشعرت بتخاذل يهز مفاصلي،ولم تلبث الدموع أن تهاطلت في تموجاتها الكثيفة.

مضيت أدور وأدور في مكاني.ليته كان كابوسا.. ليته كان حلما.ليته ما كان هذا ولا انتفضت في مكاني.. تحسست جبيني، ثم تراجعت إلى الوراء،قاصدا مكانا تظلله أشجار التوت و النخيل لأبحث عن شيء فقدته إلى الأبد، أو لأحقق في شيء ما كان علي فعله.

في لحظة قصيرة عبق شكلها بحصيلة سنتين من العذاب والهيام.بلا ريب كنت أحب فطرتها بدلا منها هي . كنت أحب فقط وجهها المطلي بالسمرة. كنت أحب لمعان عينيها... عودها الهش النابض تحت جلبابها .. صمتها الرهيب الذي يطرب مسمعي ويكسر أضلعي.

كل هذا اعتنقته فيها. هذا العراك النفسي ألفته وألفتني... ولم يعد بيني وبينه خط أحمر. قديما قالوا:"الحب أعمى". لكن المشكلة تظل في صحوة الشهية التي لا تخلو هي كذلك من سلطان على النفس.

وللحظة كرهتها. لأنها انصاعت مع نمط دنيا أنا أتعففها. ابتُلِيتُ بحياة أخرى أبغيها ولا أحس بها. فانطفأت شمعتنا وخبا حبها عبر السحب.

ترى لو كنت زرت الطبيب النفساني، بماذا كان سينصحني؟

"عاشق من زمن الحب"

"الحب هو الحزن والشجن، أوله بسمة وآخره دمعة"

- هشام بن الشاوي-

ما أروع أن تحدق فيك امرأة جميلة !

أي سحر هذا ؟ ! أغرق في بحر عينيها ، وأقرا أجمل الأشعار فيهما ... تغرد بلابل الحب في صدري ، وترقص ملائكة الفرح ... ويحدثني فؤادي أنك أميرة أحلامي .. أين كنت من قبل ، يا شمس حياتي ؟

لم أعرف كيف ولا لماذا تبعتك ، وأنت تغادرين الملهى في ذلك المساء الخريفي وحيدة .. ألبي نداء الهوى الصارخ في أعماقي .. أدس ورقة صغيرة في يدك البضة صامتا .. أخفيتها بلهفة في جيب سروال الجينز، وشكرتني بـا بتسامة حزينة ، واعدة بأفراح لا نهائية .. فأكتب أول كلمة في قصة حبنا ...

* * *

في مقهى ملتقى الأحبة الشاطئي انتظرك اليوم كله .. انتظرت شروق شمسك لتبدد ظلمة الأيام التي عشتها في غيابك المفاجىء .. كنت قد تعودت أن أعزف من أجلك هذه اللحن البـهيج كل مساء .. وأنت تجلسين وحدك في ذلك الركن شبه المظلم .. يتضايق العشاق مني وأنا أشعل سيجارة تلو أخرى .. من أ ول نظرة التقت فيها عيوننا ، تسلل حبك إلى قلبي دون استئذان .. سارقة قلبي ودموعي .. فأصبح للحزن و الفرح طعم الألم اللذيذ .. فأعود إلى بيتي بعد تيه طويل، أعانق كماني ، وأبوح له بأحزاني .. ونبكي سوية .. رباه ! أ هذا هو الحب ؟ !

* * *

أجلس وحيدا شارد اللب .. يربت صديقي على كتفي ، باسما :

-ما الذي يشغل بال فنـاننا الحزين ؟ !

-....

-أهي قصة حب ؟ أم نزوة فنان ؟ !

-أنا لا أتلاعب بمشاعر الآخرين .. مثلك !

-ارم قلبك في أقرب صندوق قمامة ، حتى لا يدمر حياتك ...

-ألا تستطيع أن تفكر بقلبك ولو مرة واحدة في حياتك ؟

يترك سؤالي معلقا ، ويتجه نحو امرأة تجلس وحيدة ... ثم يخرجان سوية ، وهي تتأبط ذراعه ...

أشهق ، وأن أراها تقبل علي ، متهللة الوجه .. تتبدد أحزان أيامي ، وهي تصافحني .. أتمتم : الحياة من دونك جحيم ! ! .. تبتسم ...

بعد انتهاء عرض فقرتي الموسيقية الحالمة ، أتوجه نحو طاولتها ، مزهوا ... ولأول مرة أعرف طعم قبلات امرأة عاشقة !

* * *

ذات شقاء، لمحتها تتأبط ذراع صديقي ، وأنا أتسكع في الشوارع وحيدا... باحثا عنها، بعد غيابها الثاني .. تمنيت لو كان في جيبي مسدسا حتى أموت عند قدميها ، أحسست بخنجر مسموم يخترق قلبي ... ألم تجد من بين كل الرجال إلا صديقي ؟ !

لم أحاول أن أكلمهما ، فبأي حق أتدخل في حياتها؟ ...

منكسرا، أ فتح باب حجرتي، أرتمي فوق فراشي، دون أن أضيء المصباح، وأغرق في بحر من الدموع ...

ووجدتني مدفوعا إلى أن أعتـزل الناس أسبوعا ..

وأنا أداعب أوتار أنيس وحدتي .. خيل إلي أني سمعت قرعا على الباب .. لم أصدق عيناي ، ما الذي جاء بها في هذه الليلة الشتوية ؟.. هل ملها حبيب الجيب ، فاشتاقت إلى حبيب القلب ؟ !

أم أنها تبحث عن فراش آخر ؟ !

خلعت قميصها ، ولفت ذراعها حول عنقي فأبعدتها عني ، بقسوة سألتها :

-من ذلك الرجل الذي كنت معه ؟

-ضحكت ... طبعت قبلة على فمي ، أحسستني مسحورا بين يديها :

-أنت الرجل الوحيد الذي ا ستولى على قلبي ، وما زلت أ حبك كما لم أحبك من قبل ...

-وذلك الرجل ... ؟

-أ تغار من زوجي ؟ ...!

-أنت متزوجة ، وأنا آخر من يعلم .. لم خدعتني ؟ ..!

ودون أن أحس ، أهوي بكفي على خدها، ترتدي قميصها، و هي تكفكف دموعها ... وأسدد قبضة يدي نحو الجدار ، أعود إلى كأسي .. أصبها في جوفي دفعة واحدة ، أرمي به عرض الحائط ... فتتناثر شظاياه ...

* * *

أ لمحها مع زوجها ، في ركنها المعتاد .. تحييني بابتسامة مشرقة ، أحتضن كماني ، و أنطق أ وتاره لحنا شجيا ، تهتز له القلوب ، ولو كانت من صخر صلد .. تتهامس البنات ، وهن يبحثن عن مناديلهن ، وينزف قلبي من عيني

دمعا ...

دمعا ...

دمعا ...

"حب على الشاطئ"

"لا شيء يسمو بنا إلى العظمة مثل الحب""

- هشام حراك-

*تطلق كلامها، بشكل هستيري، فيلوي عائدا إليها كما لو أنه اصطدم بجدار من حديد ... درجة الحرارة الكامنة بداخل صدرها تتجاوز، بكثير، درجة الحرارة عند منتصف أغسطس ...

*يجلس على صخرة نائية عن البشر، باستثناء السائح الذي هو بصدد رسم لوحة تشكيلية، وزوجته التي هي بصدد البحث عن أشياء لم يتمكن من معرفتها، وقال لنفسه ربما تكون أصداف الشاطئ ...

*تعود إلى غرفتها ... تشاهد مسلسلا عربيا، فتتأثر للمصير المحزن لمديحة التي تركها فارس أحلامها، وهجرها إلى بلاد بعيدة كي يتزوج من عجوز ميسورة هناك ...

*يتأمل البحر في صمت رهيب ... عيناه تكادان تنـزلقان عن جمجمته، وتكاد تنط منهما الأفاعي والعقارب وأسماك القرش، فلا يدري المرء إن هو غاضب لأمر ما، أم أنه بصدد خوض حرب باردة ضد البحر ...

*أخيرا تبتسم وتفكر في أن تصفح عنه ...

*أخيرا يبتسم ويفكر في أن يكتب لها رسالة يعتذر فيها عما صدر منه في ذلك اليوم المشؤوم ...

*تتوصل بالرسالة، وتقرر أن تذهب إليه ...

*يجلس، من جديد، على الصخرة النائية عن البشر ... عيناه تكاد تنط منهما الأفاعي والعقارب وأسماك القرش، ولا تعودان إلى وضعهما الطبيعي إلا وهو يلمحها قادمة ...

*تصل إليه، وتبتسم في وجهه ابتسامة عريضة ... تجلس، إلى جانبه، وهي تعيد شعيرات إلى مكانها الطبيعي بعد أن انزلقت شيئا ما إلى أسفل خدها الأيمن ...

*يصر على طلبه ...

*تقول إن ذلك عيب ...

*يقول إن الأمر ليس عيبا ما دام البشر لا يراهما ...

*تذعن له، ثم، في لحظة من اللحظات، تطلق صرخة مدوية في المكان ...

*يقوم مذعورا ... يلتفت يمنة ويسرة ... يركض، ويركض، ويركض ...

*لقد وقعت لها الواقعة ...

*يقرر أن يقطع البحر في اتجاه الضفة الأخرى خوفا من كلام الناس ونظراتهم اللاسعة ... يعزم على أن لا يعود أبدا ... يقول لنفسه إنه لو كان له عمل قار، وسكن مستقل عن ذويه، لما تركها تواجه مصيرها المؤلم ... يقول لنفسه هذا الكلام، وينقلب الزورق الذي يقله إلى الضفة الأخرى، فتقع له الواقعة **...**

"ومضة"

"أن يدق قلبها.أن يزعزع أنوثتها،ويربك رتابتها. يشتتها،يبعثرها،جنون،ربما،شمس،لما لا،استرخاء وجودي.هكذا أرادت للقلب موطنا.
أجل،وللبصر امتدادا بحجم أزرق السماء والبحر.
أجل، أن يهتز العالم من حولها..وترى الفوضى ..تحياها في نومها وسريرها..في اختيار ملابسها..في الألم حين يصبح غصة تنفجر فجرا تبني نهارا."

- زهور كرام-

في ثوان، ومضة انبثقت على الحافة.
حافة السرير في إحدى غرف الفندق المطل على البحر.
مد يده يطلب الومضة، فإذا به ينتشر على الحافة.
ينبت الرعب هنا حنظلا يؤثث السرير علقما.
ثم يغيب.
عنها يغيب.
وقبل لحظة كان قد صحا مع الومضة.
تململت.
شعرت بحرارة تصعد، وتصعد وتلون وجهها دما ساخنا.
رفعت يدها اليسرى. مسحت وجهها ، كان الدم يغلي.
واليد تعود تبحث عنه.
اعتصرت وجهها بقوة رغبتها. اعتصرت عينيها . تدحرجت دمعة ساخنة التقطتها شفتاها، ثم وجدت نفسها مستلقية في قبلة تفتت مع طرق في الباب.
انسحب.
بعنف فر من شفتيها.
ظلت قطرة لعاب شاهدة على أنه كان هنا.
اغتصب انتشاءها فيه. ما أعادت شفتيها.بقيتا مقبلتين عليه.
هل علم أنه بنى جرحا؟ ربما دمر روحا...ربما شعر... ربما لم يشعر... ربما...

* * *

في ثوان،
معركة اندلعت في الغرفة.
صاعقة انفجرت عند طرق الباب.
تهتز جدران الغرفة.
-رأسي، رأسي.
يشد بكلتا يديه ويدور في الغرفة.

إني أسمعهم. إني أراهم. هاهم قادمون يمسحون بي الأرض..يطرقون الباب والناس نيام. يصعقون داخل رأسي ..نمل ..نمل ..لا، جيش ..جيوش.. صفوف متراصة ..يتقدمهم وجه ذو قناع أحمر..لا لا ..اتركوا أمي اتركوها، حسنا سأتكلم..سأقول ما ترغبون فيه، أنا ما تريدون..ما تطلبون،أنا شربت ماء بدون إذن..لا لا خذوني ..أنا .. اتركوها.. رأسي رأسي ..نمل، جيش يحرث رأسي، عقلي، جسدي..يحرثني، اتركوها هي ما تبقى لي..أنا..خذوني ..كفاها شيئا احتل شعرها ..حبلت ستة.. أخذوا خمسة..رأسي..رأسي ..أنا ما تبقى لها..اتركوها..ارحموا حرقة بطنها....

تدور الغرفة، تهتز جدران الغرفة.

شفتاها شاردتان.

انغرست المفاجأة سكينا مزق الحافة. حافة السرير في الغرفة المطلة على البحر. حتى الأمواج تضرب بعضها ..والجيوش القادمة نحوه تضرب رأسه..

-لا .. لا..اغتصبوني أنا.. هي ..هي ..لا.. ضعوا سكاكينكم في جسدي ..هي..لا،لا.

تدور الغرفة.

يدور هو.

وتخرج هي من شرود شفتيها.

تشده.

يدوران والطرق ما يزال على الباب.

تشده.

ويسقطا على حافة الحافة.

هذات من روعه. ناولته شفتيها..ارتوى. عادت الحياة إليه، أو عاد إلى الحياة. أو عادت الحياة إليهما. ناولته كأسا أخرى، انشرح وجهه،كأنه خرج من مغارة..من مهانة.

يلحس شفتيه ويبلع ريقه.

ارتوى.

استقام على الحافة حتى لا يتدحرج أرضا فيتذكر أمه التي جالوا وصالوا فوق جسدها وهو مجبر على النظر إليها بعينين جاحظتين.

استوت من حافة الحافة، وارتمت بجانبه تسأل هيجان المكان البعيد عنه.

-مازال يسكنني.

-انظر،أنت تجاور البحر..

-.....

-أنت رحلت منذ زمن،فما الذي يأخذك إلى هناك.

-..

حضنت رأسه طيرا يرتعش رعبا من قناص

-أتعرف .. عليك أن تتعلم النسيان حتى تنتصر عليهم

-لكن كيف..

فر رأسه من حضنها.

كم من جرح بناه اليوم. هو لا يدري، أو ربما يدري..أو ربما انفلت منه خيط الوصال مع العشق.. أو ربما..ربما تنهزم الومضة مع حافة الحافة.

-كيف ..كيف أنسى؟

تحاول هي جمع الومضة. كم بقي من العمر حتى تبلع الذبحة تلو الذبحة...لا تريد أن تنسخ التجربة. لا، كيف تنصاع لنصيحة صديقتها. لا، قالت لها، لا تثقي . قالت لا. تعلمي كيف تعشقين رجالا كثر، إذا انسحب واحد احرثي جسد الآخر،فتنسي مرارة الأول. قالت لها: منهم نتعلم،وعليهم نجرب. قالت : لا كيف وما العشق إلا بقلب واحد . هراء، قالت لها. ربما، أجابتها، لكن لا أستطيع خداع..من؟ نفسي. مازلت تفهمين الدنيا بالأحاسيس.

لا،لا. لا تستطيع أن تبلع نصيحة الصديقة سكينا . لا لا.

حلم بنته عندما انتبهت إلى شعيرات جسدها كيف استيقظت عندما استلطفت مشهذا عاطفيا في شريط سينمائي.

أن تهتز.

لا.

أن يــدق قلبهــا.أن يزعــزع أنوثتها،ويربــك رتابتهــا. يــشتتها،يبعثرها،جنون،ربما،شمس،لما لا،اســترخاء وجودي.هكذا أرادت للقلب موطنا. أجل،وللبصر امتدادا بحجم أزرق السماء والبحر.

أجل، أن يهتز العالم من حولها..وترى الفوضى ..تحياها في نومها وسريرها..في اختيار ملابسها..في الألم حين يصبح غصة تنفجر فجرا تبني نهارا.

انطوى جسده فوق السرير. انزوى في شكل دائري مقبلة الرياح على دحرجته.

ثم طرق الباب.

ثم انتفاضة من الشكل.. انتكاسة..ثم هيجان يدمر لون العشق ورائحة اللذة ويترك علامة استفهام عند ملتقى الشفتين.

-إنهم عادوا أنت..أنت

يأخذها بعنف.

-أنت التي أخبرتهم عن مكاني..أخبرتهم عن البحر..أنت جاسوسة ..أنت ترتدين القناع أيضا..حبك موسوم بالمخابرات..شفتاك ..أي نعم،فيهما سم..ماذا شربت؟..بطني..ألم ..رأسي..صداع..أشعر..أشعر..بطني تحرقني..رأسي صاعقة..أنت معهم ..إنهم يتربصون بي .. تقولين لي انسى ..البحر سيغسل رأسك..أنت والبحر مخبران.

أخذها وبدأ يهزها.

انطقي.. كيف تعرفوا عليك؟ بما أخبرتيهم..بما؟ أجيبي..

ثم صفعة بقوة الغضب الذي تجمع في حنجرتها ترسمها على خذه الأيسر وتشربه كأسا من ماء شفتيها ثم تهمس في أذنه:

-تذكر كأسي كلما طُرِقَ البابُ لترتاح رأسك.

"حالة شرود"

"حينما نحب نشعر بأننا زهرة نيلوفر سابحة بين الأرض والسماء،ماهمها إن أفقدها تيار البحيرة الخفي بعضا من توازنها أو نق على بمائها السحري سرب ضفادع."

- رشيدة عدناوي-

لم تعد رجلاي قادرتين على حمل جسدي،فقد طال بي انتظار الحافلة التي ستقلنا إلى المدينة المجـــاورة، فتهالكت على ما نتأ من طوار قارعة الطريق،في حالة تذمر وانتظار ابدي.

كانت العربات من كل شكل ولون تعبر شارعي الطويل،الذي لايكف دمه عن الجريان،كما جرت زوابـــع الحنق في عروقي.كانت الشمس تمزق كبد السماء،فترسل حمولتها الجهنمية في اتجاه رؤوسنا وعيوننا،مما يسدل على المكان في فترات متقطعة هدوءا لا تمزقه إلا ركلات أبنائي و بناتي بحركات لاإرادية، والانطلاق الصاروخي لبعض السيارات و الشاحنات المحملة بالبضائع و السمك والخضر في اتجاه الجـــــــــنوب أوالشمال.أما زوجي فقد فضل أن يتفيأ بظل شجرة،فرغم فارق السن بيننا فهو لايزال يحتفظ برشاقة أثارت إعجابي منذ أيام الخطوبة.

وشردت بعيدا بأفكاري بعيدا..بعيدا.. وأنا ألوك مسلسل الفشل الذي لازمني هذه الآونة الأخيرة،و أراقـــب عن كثب منظر شابين يسيران الهوينى في اتجاه أشجار عالية،وأعشاب دانية،كغابات الزيتون.كانت الفتـــاة تميس كغصن تائه تدروه رياح الدلال و التيه،فترفع ذراعها تارة لتعيد تصفيف خصلات حيرى،لا تـــدري إلى اليمين تطير أم إلى اليسار تستقر وطوار تلف بجسدها الخيزراني لفة أو لفتين،ثم ترسل قهقهة يشوبـــها كثير من الغنج و الشبق المتعمد.ويبدو أن حواس الفتى استفزت بما فيه الكفاية،مما فتح شهية أنامله الجوعى لتلامس بشكل مكشوف يدها...شعرها المسدل...خصرها.

كانا كلما بعدت خطواتهما عن هالة الضوء إلى عتمة الخضرة، ينتابني شعور بالخوف لم أكن استطع فـــي البداية أن أجد له تفسيرا.لكن عيني المتطفلتين ما فتئتا تتوجسان نهاية شرودهما المبثور،رغم اختفـــــاء الشابين عن الأنظار في غياهب المجهول تحت ظلال العتمة في غابة العشب الأخضر.

بعد أن مللت الانتظار شعرت برغبة ملحة في الكلام، فتركت موقعي الناتئ على قارعة الطريق،و التجـأت إلى زوجي،الذي كان يدير ظهره للصور التي شاهدتها قبل قليل و ماكدت اذكره بالوقت...والانتظــــــار الطويل بسبب تأخر الحافلة،حتى عاودني الحنين إلى مسرحي الخاص،فجلست من جديد في مجلســـــي السابق،ومـــا كدت أرسل بصري.هذه المرة- في شرود إرادي،حتى لفتت نظري عودة الشاب وحيدا.فتساءلت أين الفتاة؟

لم يكن باعتقادي أي ممر خلفي في الطريق المقابل للشارع الرئيسي.هل تكون الفتاة قد استطابت النزهـــة و مكثت هناك وحيدة. كل شيء ممكن لكن ما أثار انتباهي و دهشتي أن عيني لم تكونا المتطفل الوحيد على هذا المشهد الحميمي.لقد تراءى لي من بعيد راع ترك غنمه لوحدها تريح بطونها الشبعي.

الراعي يعود مهرولا بعد إطلالته السرية على مسرح العتمة و قد بدا على ملامحه ما يشبـــــه الحزم و العزم تاركا وراءه أغنامه.

هل كان يتعقب خطوات الشاب لأمر يهمه؟

لا..لا..انه يدخل مخدعا هاتفيا.

مع من يا ترى يجري المكالمة؟

"الوشم"

" أعيش لأنني أحب. وإذا ماعشت طويلا ، فلأنني أحب كثيرا"

ـ نهاد بنعكيدة ـ

سألته بامتعاض شديد وغضب أذهب عن وجهي مساحيق المكياج التي وضعتها لأبدو جميلة أنيقة وأنا أرغي وأزبد :

ـ لماذا تنساني ...؟ لماذا تنشغل عني وأكون دوما في نهاية لائحة مشاغلك واهتماماتك؟؟؟؟ أو لست جديرة بامتلاك حصة من أفكارك ومشاعرك ودقائقك وساعاتك الممتلئة عن آخرها بكل شيء........إلا أنا.

سقطت دمعتي الأبية ، مع أني لم أبرمج دموعا للسقوط حينها ، ولكنها فلتة من فلتأتي كلما فاض الكأس، بحنو وشعور بالذنب سرق دمعتي من على خدي ، بلل بها أصابعه ، كانت ساخنة..... أو هكذا أراد أن يشعرني حينها، وكان الجو باردا أو هكذا شعرت به لبرودة اللحظة :

ـ لا تقلقي صغيرتي منذ اللحظة سأضع علامة على يدي، كلما رأيتها... رأيتك وكلما تذكرتها ....تذكرتك ...

و ضحك ...

برمجت بحر دموعي، ورفرفت براية سوداء كما أعالي البحار في جفوني وانطلقت أمواجي عالية متضاربة في عيوني مرتمية على خريطة وجهه.

أو صرت منسية مقصية إلى هذه الدرجة، أن أكون مجرد علامة على يده؟ قد تنمحي بملامسة أي شيء أو لا شيء. الرجل الذي توجته ملكا على مملكتي وجسدي وروحي وأفكاري وتناقضاتي وحسي وأعصابي وشطحاتي وجنوني وحريتي وسجني... يجعلني مجرد علامة في يديه ! ليتني كنت على الأقل وشما كما وشم جدي على ذراعه اسم جدتي التي عاش معها تسعين عاما ومات معها.

تدارك الموقف وابتسم :

ـ أمزح معك.

كنت ولا زلت أصدق كلام المزاح واعتبره كلاما جادا أكثر من أي كلام آخر. ودائما، وأنا أقرأ مسوداته ، أقف طويلا عند الكلمات المشطبة وأبحث عن أسباب محوها وتدميرها ... فلولا وجودي في حياته ما كان ليشطب عليها

خوفا من أن أعثر على أفكاره وأسراره التي طالما أخفاها عني، عن قصد أو بدونه. أعشق البحث والتجسس وراءه... وراء كلماته، ربما أكتشف سرا أو أدخل من خلال تشطيباته إلى دهاليز أفكاره المغلقة بألف مفتاح ومفتاح.

أن أكون مجرد علامة على يده يرسمها كل صباح بقلمه الأسود قبل أن يغادر بيته، تجعلني أعيد حساباتي معه. أما أنا فجعلته وشما أحمرا بلون دمي، وبنفسجيا بلون فرحي الصغير، وأسمرا بلون قمحي وجلدي، وشما وشمتك في قلبي لو انمحى انمحيت من وجودي ولو تغير لونه أكون قد أصبت بتسمم في شراييني وصمامات قلبي وأدخل حينها في عداد المفقودين.

أرأيت كيف أراك ؟

أرأيت كيف تراني ؟

أعرف جيدا أنني امرأة أهوى صناعة الجراح، بل وتخصصت في جراحة القلوب المعذبة حبا وعشقا، وتفننت فيك ومن خلالك في استخراج الأحزان من كلماتك وحركاتك وسكناتك وحتى ملامحك وأنت تحدثني ، أقرؤك وأحفظك وأستظهرك عن ظهر قلب، كما لو كنت كتاب تاريخ قديم أو بحثا في علم الآثار والأرض ، أبني من " الحبة قبة " كما تقول دائما حتى صرت أملك قبابا وقصورا فوق ارض مملكتي صنعتها بين ليلة وضحاها ، وأصدرت بعد ذلك أوامر بهدمها لتخلي المكان لقصور وقباب أخرى ستحل محلها ، أزمة سكن أعاني منها داخل مملكة ذاتي.

حسنا، خذني علامة على يدك. فذلك أفضل بكثير من أن تنساني جسدا وروحا على رفوفك. ملفات الكبرياء والكرامة والأخذ والرد لم أعد أتدارسها معك لأن الأمر بيننا تعدى كل تلك المبادئ والمواقف المتشددة. اخترت أن أكون متسامحة متساهلة في كل حقوقي معك وأن أخذ الأمور بكل بساطة كما تفعل دائما. ليس لأجلك ، بل رفقا بي ... ولا تعتقد أني وإن قبلت أن أكون بكل أنوثتي وشعري الفاحم ومشاعري الحمراء البركانية علامة على يدك في صورة نجيمة دالة على هزيمتك لي، فأنا مازلت لم أعلن بعد حربي عليك. ويوم توصلني إلى ذلك القرار ستجد يدي وجسدي موشومين بعلامات كثيرة من فئة تلك النجيمات .

"هي والسكين"

" وجدت هذه الكلمات في اخر صفحت كتبتها –هي– قبل أن تدخل القفص الذهبي .

خاطبني قوس قزح اليوم و قال:

- ألا أيتها الحالمة فجرك الباسم قادم. إنها البشرى تلف جسمي بدلال .

قلت:

– من أي الجهات الأربع سأبدأ بحثي عن فجري الوليد أيها القزحي؟

أجاب بصوت ردد الكون صداه:

– انه آت حتما فلم العجلة.

تمر الدقائق، حبات ندى، و يزداد الضجر وحديث القزحي سراب، ألملم أجزاء الدرر المتناثر داخلي، وأنبش قبورا من سراب الذكريات، هذه الأحلام الصغيرة أحراش الصبي، وهذه العفة المتألقة تصب حلاها ، والفجر القادم لم يصل بعد...

فتح القدر صفحة الربيع ووفى القزحي بموعده فتلألأت البشرى، نظرت جنبي فإذا به جالس قربي :

– إنه أنت، إذن!.. أعرفك. نعم، أعرفك. لأنك بكل بساطة كنت تسكنني. أنت سعدي ...أنت فجري القادم"

- سعيدة فرحات-

جلست تبحث في أعماق ذاتها عن بقايا الربيع، عن حلم لم يفارق أعشاشه، عن صبح لم يهاجر... كل ما بداخلها صمت و قهر و بقايا آهات جعلت السكون يألف العيش بين لسانها وشفتيها.

جالت بعينيها في البيت: الستائر المخملية، المزهرية الكرستالية، عبق عطر فاخر و ضباب كثيف يغطي جمالية المكان أيقظها من شرودها. إنه هو، حتما. طرقاته على الباب لم تتغير.

عشر سنوات من العيش معا تحت سقف واحد. لكن البيت الواحد في الحقيقة كان عالمين، جزيرتين بينهما آلاف الأسئلة التي لم تجد جوابا، بخار أحلام ، ابتسامة مزيفة...

إنه رجلها، فارس أحلامها، بطل أحلام عاشتها سنين ترسم لوجهه كل يوم تفاصيل جديدة حتى إذا ما أكملت الصورة وجدت أمامها وجها ما عرفته يوما.

أثث مشهدها اليومي بوجوده الممتلئ و ابتساماته التي يحسن توزيعها حسب الطلب. احتل منها كل شيء إلا قلبها فقد أبى وامتنع. كان لها موعد فرار يومي تختلي فيه إلى ركن من قلبها تشاركه البوح والاعتراف.

كان صوته سكينا يقطعها من الوريد إلى الوريد. لمساته سكاكين. ابتساماته، وجوده كله سكين يسكنها. لطالما حملت السكين في يديها وقالت:

- السنين تسير ونحن نقلب الأيام جمرا على دخان. يضمنا الضياع ليلثم بسمة غد جميل. يئن فينا الألم الجريح باحثا عن ربيع البنفسج. يدك للغد تصافح وفي ظهري بقايا سكينك ينزف، ومن بؤسي و شقائي مددت يدي لزنبقة تتفتح لريحانة تبادلني التحية. هذه الجروح أنت داؤها و دواؤها. فمتى أجد فيك نصفي الضائع؟

كم هي صعبة تجربة الوحدة وسط عالم من ضجيج.

ضجيج أطفالها يردها إلى عالمه. وها هي ككل ليلة تستغل فرصة نومه لتمعن النظر في وجهه، و تخاطب غيابه داخلها:

- كنت أظنك أناي الأخرى. كنت أتمنى أن أنسى فيك نفسي لأننا أصبحنا واحدا. لكنك تصر أن نكون اثنين...

نامت و الأسئلة حبال مشانق تلتف على عنقها وتصرخ في نومها و الجثة الهامدة قربها لا تحس بشيء.

استيقظ من نومه ليجد نصفه قربه و يمد يده ليوقظها لكن يده لا تصل.

مسافة بعد أم اشتياق أم قهر؟

تزوجها امرأة لحياته لكن نجاحها دمره فحول حبه لها إلى مشنقة.

إنها هي، بنفس التقاسيم الرقيقة وذات الوجه البدري الذي تغزل به في رسائله طويلا. كانت حلما، وهما. وهي في برجها العاجي تمعن استيطان قلبه و العزف على أوتار أحاسيسه.

لماذا فقدت بريقها بمجرد ما بدأت لعب دور الزوجة الصالحة؟

لماذا نجحت في حبها؟ في بيتها؟ في عملها؟

لماذا تحول هو من السيد فلان إلى زوج السيدة فلانة؟

لماذا كانت هي القمر وهو النجمة المرافقة؟

لعن اليوم الذي خفق فيه قلبه بحبها؟

و تذكر أولاده فانتفض: إنه وقت المدرسة.

وبذلك بدأ يوم جديد ليجري كل واحد منهما في طريقه الخاص وعينه صوب أفقه المغاير.

"بلا عنوان"

" أيّها الحبُّ المعلّقُ كأحلامنا المؤجّلة، الكسيرُ كأرواحنا المهترئة، المغرورقُ فينا كالوجع، النازفُ جراحاً وأمنياتٍ، مازالَ الزمنُ المرُّ يمزقُنا على مهلٍ، بلْ أمام ناظريْكَ يارسولَ الزمن الجميل ! ونحنُ قربَكَ نراقبُ انطفاءَ الشمس، فنرقبُ معها – دونَ أن ندري – انطفاءَ الأحلام والأزمنة فينـــا!

ياحبُّ ! كنْ كما أنتَ لنا، حارسَ الرمق الأخير الذي ينبضُ فينا، لأنّنا بدونِ بسمتكَ وأمانكَ عـــدَم !"

- أسماء حرمة الله-

دخلَتِ الحفل.

كان الحاضرونَ يرتشفون من كؤوس الفرحة ويضحكون، حتى أن موسمَ الربيع الأخضر كان هو الآخر حاضرا بينهم..

دخلتْ لبنى الحفل وقد تأبطت صمتها وجرحها وزماناً فقدَ ملامحه، وربما تأبطت أيضا لونَ الغياب، كانت حائرةً ماذا ترتدي لهذا الحفل المميّز، بحثتْ في خزانة ملابسها عن ثوبٍ بلون الربيع أو بلونِ البحر الذي طالما عشقَته، أعجبها ثوبٌ لازوردي، لكنها سرعان ما بدّلت رأيها واختارت آخر موشّىً بزهرِ الليلَك، ثم بحثت مرة أخرى عن آخر يشبه تقاسيم زمانها حتى وجدت ثوبا بنيا مخططّا، فارتسمت على شفتيها ابتسامة حبلى، وعقدت العزم على ارتدائه.

وماإن همّت بذلك حتى لاحت منها التفاتة إلى فستان أسود اللون، منزوٍ بركن الخزانة، فوقفت تتأمله لحظاتٍ لتهمسَ له سرّاً ، كانت تظن أنها الوحيدة التي تحدّثُه حتى اكتشفت بأن ثمّة من يسمع حديثهما، إنها دمعة حرّى انزلقت ثم تلَتها أخرى ثم أخرى ثم أخرى..ثم انزلقَ الصمتُ الجريحُ من مآقيها ليصيرَ رابعهم.. بقيت تحدق بالفستان لحظاتٍ ربما كانت أطول من لحظات عمرها، وقبل أن تقترب منه لتجسّ عمره هو الآخر، قاطعَتها رسالة صوتية وصلتها عبر هاتفها الخاص، فنظرتْ إلى هاتفها برهةً ثمّ أشاحت بوجهها عنه... هذا كل ما تذكره قبل أن يحضرها القدَرُ إلى هنا..أطرقتْ وعادت من أرضِ ذاكرتها إلى أرض الحفل، تحدّقُ بالحاضرين وقد تعثّرت نظراتُها بالأضواء المترامية هنا وهناك، وتعثّرت خطواتها بالضحكات التي كان ينثرها المدعوون يمنة ويسرة، حتى وقع نظرها على مكانٍ شاحبٍ انزوى هو الآخر بعيدا عن أعين الرقباء، لتجد خطواتها تسبقها إليه وأناملها تعصر حقيبتها الصغيرة عصرا، وقد نسيتْ بأن زهرةَ الأوركيد التي تضعها بحقيبة يدها دائما لتُؤنِسَ وحشتها، قد اختنقت من آثار ضغطها على الحقيبة.

ابتدأت الموسيقى تسكن زوايا المكان، وابتدأ معها موسمُ تساقطِ العنب، وابتدأت النظرات تحاصر لبنى وكأنها تحرس هدوءها وصمتها ووجومها أيضا، بل تحرس حتى بواباتِ السرّ المغلقة..اقترب منها أحدهم وقال لها بصوت منخفض:" يا لَشجاعتك، كيف قبِلتِ الدعوة بالرغم من كل شيء؟؟"

ابتلعت غصتها ولم تنبس ببنت شفة، بينما اقتربت منها مدعوة أخرى وطعنتها بشماتة، متظاهرةً بأنها تحدّث نفسها: "لم أكن أعلم أنّ الحفلَ يخبِّئُ لنا مفاجأة، يبدو أن السهرة ستكون مسلّية فعلا"..

عصرت لبنى حقيبة يدها مرة أخرى، فَدبّت بمآقيها وضلوعها حرقةٌ تسللتْ إلى كل مسامّها لتعشّش فيها،

وراودتْها دمعةٌ مختنقة، أحبّت أن تكون نجمة الحفل الثالثة لتفتتح حفلَ الأوجاع، دمعةٌ أحبّتْ أن تظفر بتوقيع صاحبتها بدفتر الحزن الأول، لكن لبنى حبستها بضلوعها كي تحفظ ما تبقى من إنسانيتها المُراقة.
تقدّمت إليها ليلى أخت العريس والكلماتُ متلعثمة على لسانها، وملامحُها مُهراقَةٌ بأوراق الحيرة، وابتدرتها بالسؤال: " كيف حالك؟ هل أنتِ بخير؟؟" وجلست إلى جانبها تنتظر الإجابة، لكن لبنى لم تنطق صمتا وحسبُ، بل تدثّرت بالصمت وحفرتْه على لسانها:
"يا إلهي كيف تسألني عن حالي !.. بل كيف استطعتُ الحضور إلى هنا.. أنا هنا؟ !! قد صرتُ أضحوكة لهم جميعا ومثاراً للسخرية والشفقة، ماذا فعلتُ بنفسي؟؟ سأخرج الآن..لا لن أخرج حتى أبارك له ...له و...لها...لن يهزمني جرحي أبدا، لقد انتهى كلُّ شيء".
وفجأة ودون أن تعبأ بليلى التي كانت غارقةً في حيرتها تنتظر منها الجواب، انتفضت واقفةً وتوجهت صوب العروسين..:"يا إلهي كم هي طويلةٌ المسافة من مكاني إلى حيث يجلسان..وكأنني أسافر من جزيرة إلى أخرى..لماذا شحبَ وجهُ الموسيقى؟ لماذا صار صوتُ المكانِ نشازاً ؟ لماذا خفتت الأضواء بالقاعة بعدما كانت قنديلاً للساهرين؟ لماذا اختفت النجوم؟ أجل ، النجوم غابت وصار القمرُ دون حارس، ألهذا أيضا ذبلَ الضوءُ وتلاشى؟ لماذا صارَ لونُ الفستان أكثرَ سوادا من لونه الأصلي؟ لم يبدُ لي بهذا اللون حين أخرجتُه من خزانة ملابسي.. لماذا توقّف العزف؟ سيبدأ عزفٌ جديد؟ أين الوجوه التي أعرفها، إنني لا أراها هنا؟ تُرى كيف هي زهرةُ الأوركيد التي بحقيبة يدي؟ لماذا صار الجو حارا مع أنّ الخريفَ لمْ يغادر طفولتَه بعدُ؟؟ لماذا لا أبتسم؟ هل البسمةُ الآن راقدةٌ بحقيبة يدي أيضا؟ لقد سامحتُه وانتهى الأمر..أجل، انتهى الأمر..ياإلهي إنني لم أصل بعدُ إلى حيثُ يجلس العروسان؟ لم أكن أعلم بأن الطريق طويل إليهما..حسنا، لماذا أشعر بالبرد الشديد؟ إن جسدي ينتفض من البرد، ربما يسقط المطر خارجا، يداي باردتان جدا، وأسناني تصطكُّ وشفتاي ترتجفان، يا إلهي ! كيف سأبارك لهما وأنا بهذه الحالة؟ ستتجمّدُ الكلماتُ على لساني أو قد تهرب مني على وجل.. الشتاءُ يحتلُّ شواطئي ولم أصل بعد إلى العروسين، ما بال خطواتي متثاقلة، يبدو أنني أُصِبتُ بالحمى، لكن.. أين مفاتيحُ البيت؟ لقد نسيتُها معلّقةً بالباب عند خروجي، ماذا أفعل الآن؟ عليّ أن أرحل لكي أُحضِر المفاتيح ثم أعود، أجل سأعود ولماذا لا أعود؟ إنني سامحتُه وانتهى الأمر، وله الحق بأن يختار من يريد، لا لا لم يخُن بل أنا لم أكن كما يريد، أردتُه محلِّقاً وأرادني نسخةً عن زمانٍ لا يعرفني، أردتُه زهرةَ لُوتس وأرادني لغةً لا أتقنُها..أجل، لم يخُنّي أبدا فلماذا لا أبتسم وأحيّي عروسَه وأحيّيه وكأن شيئا لم يكن..لا لا بل خانني وقتلَ الوردة قبل أن تزرعني بأرضها، وهاهو يدعوني لحفل زواجه وكأن شيئا لم يكن، وهاهي نظرات أهله تكاد تمزقني، لا أريد من أحدهم شفقة ولا تعاطفا ولا أي شيء أبدا...لا أريد غيرَ الرحيل..
يا إلهي ! لم أصل بعدُ إلى حيث يجلسان، كم تبقّى من المسافة حتى أصل إليهما وسط هذه الجموع من الناس؟ إنهما مازالا بعيدَين عني، هل أذهب إليهما لأبارك لهما أو أحضرُ مفاتيحي أولا ثم أعود؟ ماذا أفعل؟ الآن تذكرتُ شيئا آخر، لقد نسيتُ إبريقَ القهوة على النار؟؟!! "
وخرجتْ لبنى مهرولةً ونظراتُ الحاضرين ممن يعرفون الحكاية، تلاحقها حتى أن العروس برحيلها ابتسمتْ ..فأدرَكَ الجميع لماذا كانت البسمةُ غائبة عن محيا العروس قبل ذلك..وعادت الموسيقى لتتراقص بالمكان من جديد، وعادت الأضواءُ تشدو وتزهر، فعادت معها النجوم لحراسة القمر من دموع الساهرين، لكنّ الليلَ تقفّى آثار لبنى دون أن تحس بوقع خطواته، ربما هو الوحيد الذي لم يرمقها بنظراتِ شماتة أو شفقة أو استهزاء.. ربما هو من كان يرقبُ خطوَ جرحها، فتعَثّرَ فيه واغرورَقَ بآخرِ دمعةٍ سقطت..

" ولادة "

" محروم من جعل الحب سجين اثنين وهو الذي احتواه العالم الاشمل
محروم من جعل الحب شعور قلبين وهو الذي ضمه الكون الأكمل
محروم من جعل الحب تآلف شخصين و حابيه
الاشمل ... الأكمل... الأجمل..."

- وفاء الحمري-

تنزل من أعلى السرير.... تقطع مسافة عرض وطول الغرفة ذهابا وايابا ....تنبطح أرضا .... تمشي على أربع .... تتلوى من الألم.... تعض شفتيها .... تئن .... تئن .... تئن .... تصرخ .... تمسح بكمها قطرات العرق .... بلعت قبل قليل الكثير منها.... كانت مالحة.... لربما كانت الدموع المالحة .... اختلط السائلان فغلب طعم الملوحة .... لا تدري هي مصدرها ... حركت شفتيها ببعض آيات من الكتاب.... توقفت عند منتصف اقصر سورة ... صرخت ... تلوت .... قطعت الزوايا الأربع للغرفة طوافا قسريا ... خمس مرات أو ستا أو سبعا ... لا تدري كم عدد الأشواط ... كل ما تعيه هي كان لحظة انزياح الألم ... تلتقط أنفاسها بخفة كأنها ستفر منها وتذرها جثة هامدة ... تستعيد أنفاسها ... تكمل قراءة السورة وتبدأ في تلاوة الدعاء .... دعاء الفرج... فيتشق تحتها عن فيضان مائي بلل ملاءة السرير الأبيض .... صاحت فيمن حولها ... أتت الممرضة .... وخزتها بحقنة في وريدها أشعلت نارا تتلظى بها هي وحدها .... تتراءى لها الممرضة بتقاسيم وجهها الغير مبالية .... تتساءل قي نفسها هل هي أيضا مرت من نفس الطريق وتجرعت من نقس الكأس ؟

أصعدتها الممرضة فوق السرير .... يتربص بها الألم هناك .... تتحرك للنزول فتأبى الممرضة .... أضجعتها على ظهرها فزاد الألم .... وخزها في شغاف قلبها .... ثقل لسانها عن الكلام .... وهنت حبالها الصوتية فبح صوتها .... تحرك كفها للإشارة للجحيم الذي تعيشه ....تشير إلى أسفلها الذي يوشك على الانفجار .... لحست عرقها المدمع .... أو قل دمعها المعرق ....لا مذاق فيه .... لا حلاوة ولا ملوحة ...فقدت حواسها جميعا إلا حاسة الألم ... والممرضة الجامدة تتحرك كالآلة حولها .... لا أثر للحياة على قسمات وجهها ....لا أثر للحياة في نظرة عينيها التي تحدق في هذه الممددة على السرير كعيون جثث الموتى .... تخرج بكل هدوء وسط جحيم الألم وتعود على انين الصراخ والعويل .... تحقن بأصابع جامدة المرأة في الوريد .... فتلهبها .... تحرقها تكويها ...

هاهي ذي تحس آثار تمزقات تحتها .... تتحرك يمنة ويسرة فتجد نفسها مربوطة الى حافتي السرير وأصابع قدميها تطل عليها من تحت حافة الإزار الأخضر .... تستنجد .... تصرخ .... تتمزق .... تدخل المرأة الجامدة ... ترفع حافة الإزار فترى .... تحدق .... تتغير قسمات وجهها العبوس .... المهم أنها تحركت ... جرت مسرعة ثم عادت بالأخرى التي أدخلت كفها المغلف بقفازات تحت اللحاف .... جذبت .... جذبت ... جذبت .... ثم نزعت كفها فإذا هي حمراء تقطر دما فوارا .... دمها هي ... تفر هاربة .... تتبعها الممرضة الجامدة ... تبقى هي وحدها .... همد الألم .... فقدت الإحساس بأسفلها .... تبحلق في سقف الغرفة الأبيض اللماع ... تدير رأسها إلى الجانب الأيمن فتبدو لها حاملة الأدوات الجراحية .... تدير رأسها إلى الجانب الأيسر فترى ثلة من ذوي وذوات الوزرات البيض يهمسون فيما بينهم .... ينغلق الجمع وينفتح .... ثم ينفض في جميع الاتجاهات إلا وجهتها هي التي تتابع المشهد ... لا تدري اهي جزء منه ام ام متفرجة عليه .... مرت الدقائق كانها دهر ...

ما زالت لا تحس بأسفلها ... أصابع قدميها ما زالت تطل عليها من حافة الإزار الأخضر ... وحركة النساء الجامدات جمدت هي الأخرى .... لا حس ... لا حركة ... لا خبر ... تزغلل نظرها .... بدا لها من بين ظلال رموشها المبللة بالدمع خيال نوراني قي شكل امتداد ضوئي طويل .... طويل .... كأنه كهف لا قرار له .... انتقلت هي سابحة وسط ذاك النور المشع فاختلطت به وراحت في غيبوبة عميقة ...

فتحت عينيها على وجوه كثيرة .... رجال .... نساء ..... لباس ابيض .... أضواء كاشفة .... رائحة كحول مزكمة .... بدت لها الوجوه تتمايل حدقت أكثر فبدأت الصور تستقر ... تتموضع ....هاهي المرأة ذات القسمات الجامدة ومعها الأخرى ذات القفازتين اللتين تقطران دما... دمها هي ...

نطقت أخيرا ... سالت عن الذي فعلوه وما الذي هم فاعلوه بها ...تكلمت الجامدة بعدما غادر الفيلق الأبيض الغرفة...

قالت بوجه جامد : قد تمزق رحمك ...ومات جنينك ... فاضطر الأطباء لبتره بالكامل ... لك حق إجراء مكالمة مع ذويك ... ذاك الزر الأخضر تضغطين عليه ان احتجت لمساعدة هذه الليلة وعرجت صوب الباب بكل برودة والمرأة الممددة فوق السرير تنظر إليها مذهولة ... مأخوذة...

برد جسدها برودا شديدا .... عصرت بجفنيها دمعتين حبستا عنها الرؤية فسالتا .... رفعت رأسها قليلا فوصلت الدمعتان على شكل مثلث حول جانبي انفها والتقيتا عند فمها الذي نشف ريقه ... لعقت الدمعتين الحانيتين فبلت بهما ريقها .... لحظتها أيقنت أن الملوحة في الدمع بكل تاكيد ....أغمضت عينيها وراحت في نوم عميق أفاقت منه على وجه المرأة الجامدة وهي تغرز حقنة في وريد كفها الايسر لتصلها بانبوب مطاطي ملحوق بقنينة زجاجية بها ماء شفاف يقطر القطرة تلو القطرة...

تنظر هي إليها ... إلى تلك الجامدة علها تجود بنظرة .... لا جدوى ... لا أمل.... حركات آلية سريعة .... أقفلت خارجة والمرأة الممدة فوق السرير تلاحقها بنظراتها..... غرقت في بحر أحلامها وذكرياتها أعادتها منها رنة جرس كئيبة تعلمها بالمغادرة ...

الفهرس

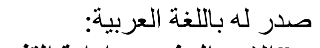
قوة الحب في القصة المغربية الجديدة:

السيرة الذاتية محمد سعيد الريحاني

- حاصل على شهادة **الماستر** في **الترجمة والتواصل والصحافة** من **مدرسة الملك فهد العليا للترجمة** بطنجة/المغرب (تابعة **لجامعة عبد الملك السعدي**، تطوان/المغرب)، و على شهادة **الماستر** في **الكتابة الإبداعية** من كلية الفنون والعلوم الاجتماعية **بجامعة لانكستر** بالمملكة المتحدة، وعلى شهادة **الإجازة في الأدب الإنجليزي** من كلية الآداب والعلوم الإنسانية **بجامعة عبد الملك السعدي**، تطوان/المغرب.

- عضو "**اتحاد كتاب المغرب**"منذ 2008، وعضو هيأة تحرير "**مجلة كتابات إفريقية**" الأنغلوفونية ***African Writing Magazine*** الصادرة من مدينة بورنموث ***Bournemouth*** جنوب **إنجلترة** منذ 2010، وعضو الهيئة الاستشارية **للتقرير العربي للتنمية الثقافية** الذي تصدره **مؤسسة الفكر العربي** من **بيروت** منذ 2010...

صدر له باللغة العربية:



- "**الاسم المغربي وإرادة التفرد**"، دراسة سيميائية للإسم الفردي **(2001)**
- "**في انتظار الصباح**" ، مجموعة قصصية **(2003)**
- "**موسم الهجرة إلى أي مكان**"، مجموعة قصصية **(2006)**
- "**الحاءات الثلاث**"، **أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة** (حاء **الحلم، 2006)**
- "**الحاءات الثلاث**"، **أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة** (حاء **الحب، 2007)**
- "**الحاءات الثلاث**"، **أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة** (حاء **الحرية، 2008)**
- "**تاريخ التلاعب بالامتحانات المهنية في المغرب**" (الجزء **الأول، 2009)**
- "**تاريخ التلاعب بالامتحانات المهنية في المغرب**" (الجزء **الثاني، 2011)**
- "**موت المؤلف**"، مجموعة قصصية **(2010)**
- "**حوار جيلين**" (مجموعة قصصية مشتركة مع القاص المغربي **إدريس الصغير**) 2011
- "**عَدُوُّ الشَّمْسِ، البَهْلَوَانُ الذِي صَارَ وَحْشاً**"، **أول** رواية عن **الثورة الليبية** (2012)
- "**وراء كل عظيم أقزام**"، مجموعة قصصية **(2012)**
- "**لا للعنف**"، مجموعة قصصية **(2014)**، منشورات **مكتبة سلمى** بتطوان/المغرب
- "**حاء الحرية**" (خمسون قصة قصيرة جدا)، **(2014)**، منشورات **وزارة الثقافة المغربية** بالرباط/المغرب
- "**العودة إلى البراءة**"، مجموعة قصصية (2015)، منشورات **اتحاد كتاب المغرب** بالرباط/المغرب.
- "**صدقية الشعار الإعلامي العربي من خلال بناء الصورة الإخبارية**" (شعار قناة الجزيرة، "**الرأي والرأي الآخر**"، نموذجا)، 2015.

وصدر له باللغة الإنجليزية:

- ***Waiting for the Morning*** *(Short Stories)* Bloomington (Indiana/USA): Xlibris, 2013. **ISBN:** 978-1493104093

كما استضافته عدة كتب **للحوار**:

- **أنس الفيلالي**، "**رَيْحَانِيَاتٌ**" (سلسلةُ حوارات شاملة منْ **أربعينَ** لقاءً صحفياً مع **محمد سعيد الريحاني**)، عمان/الأردن: **دار الصايل للنشر**، الطبعة الأولى، 2012 (الطبعة المغربية: **مكتبة سلمى الثقافية**، تطوان/المغرب، 2015).
- كتاب جماعي، **"مع الريحاني في خلوته" (**ثلاثون حوارا في الفن والثقافة والأدب مع **محمد سعيد الريحاني** أجراها أدباء ونقاد وإعلاميون عرب) تطوان/المغرب: **مكتبة سلمى الثقافية**، الطبعة الأولى، 2015.

أشرف على **الترجمة الإنجليزية** للنصوص المكونة **للقسم المغربي** في عدة أنطولوجيات نشرتها دور نشر "**ريد سيه بريس**" و"**أفريكا وورلد بريس**" و"**مالت هاوس**":

- "**صوت الأجيال: مختارات من القصة الإفريقية المعاصرة**"، ***Speaking for the Generations: An Anthology of Contemporary African Short Stories*** (ثمانية نصوص مترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية لثمانية قصاصين مغاربة)، 2010.
- "**أنطولوجيا الشعر الإفريقي الجديد**"، ***We Have Crossed Many Rivers: New Poetry from Africa*** (خمس قصائد مترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية لخمسة شعراء مغاربة)، 2012...

له عدة **دراسات في الإعلام**، قيد الإعداد للطبع:

- "**مساهمة الإعلام في حوار الحضارات: الأسباب والوظائف والغايات**".